

مأدى خريجي كليات الآداب بالاسكندرية

قدم

روائع المسرح العالمى (١)

المضيق

(مسرحية من أربعة فصول)

إلى كيم جوركى

ترجمة

قواد محمود دودة

راجع الترجمة

الدكتور محمود السمرانه

(المدرس بكلية الآداب — جامعة الاسكندرية)

The Lower Depths

by: *Maxim Gorky*

translated by : Alexander Bakshy

الغلاف بريشة الفنان الكبير

سيف وانلى

اهـداء

الى طليعة المكافحين فى سبيل خلق مسرح مصر

الحديث

لا يزال حياتنا الفنية - كعظم جوانب حياتنا الأخرى - ميدانا للبحث والفوضى والتخلف .. والمسرح ، هذا الصرح الهائل لتثقيف الشعوب ودفعها إلى حياة أفضل لا يزال في بلادنا يترنح أمام ضربات السينما ، ويعانى آلاما مبرحة ، لا أحد يعلم أى سكرات الموت أم تبشير الولادة .

ولقد أجمع النقاد الفنيون على أن المسرح المصرى فى محنة .. وأقول « النقاد الفنيون » مع بعض التجاوز ، فلم تتكون بعد فى بلادنا طبقة من النقاد المثقفين ثقافة عميقة قادرة على التوجيه والخلق دون أن تتأثر بحسابات أقسام الإعلانات فى الصحف ، ولعل هذا نفسه أحد أسباب محنة المسرح والسينما فى مصر .

ولقد اختلفت الآراء فى تفسير أسباب هذه المحنة ، ولكن لا جدال عندنا فى صحة ماقرره الدكتور محمد مندور منذ زمن بعيد حين قال :

« .. وأمر السينما والمسرح والراديو والكثير من المجالات متروك بين أيدي أخشى أن لا يستطيع أداء رسالتها ، بل لا تعرف أن لها رسالة . وهذا الإجرام فى حق الشعب وحق الوطن ، ولهذا يجب أن يعنى بها النقاد ، فبى وإن تكن أشياء فائضة عابرة محدودة الأثر فى تثقيف الشعوب ثقافة حقيقية ، إلا أنها واسعة الانتشار شديدة الضرر ، وليس من شك فى أنه من الواجب أن نساهم فى تجميل حياة مواطنينا وحمايتهم والدفاع عنها إلى جانب ما نستطيع أن نكتب لأنفسنا أو للخواص من الناس .. »

نعم .. يجب أن نساهم فى تجميل حياة مواطنينا وحمايتهم والدفاع عنها !!
ونحن وإن لم نكن بصدد كتابة بحث عن أسباب تخلف المسرح المصرى ؛ إلا أنه من

اليسير أن نلطفن إلى عامل رئيسى من عوامل هذا التخلف ، ذلك هو افتقارنا إلى المؤلف المسرحى المصرى الذى يعيش حياة مصر وينفعل بها ويجعل هدف حياته التعبير عنها...

وما أظن أن جيلنا قادر على إنجاب مثل هذا المؤلف ، وإن كانت عليه مهمة خطيرة ، هى التمهيد لخلق هذه الطبقة من المؤلفين المسرحيين .. ولن يكون هذا إلا بفتح النوافذ للشعب والمثقفين على ألوان مختلفة من روائع المسرح العالمى عن طريق الترجمة والتصدير .. وها هو ذا نادى خريجي كليات الآداب بالإسكندرية يقدم هذه المسرحية كلبنة صغيرة فى سبيل بناء مسرحنا المصرى وقيامه بدوره فى النهوض بشعبنا وثقافتنا ، راجيا أن يتبعها بمجهود أخرى من حين إلى حين .

مكسيم جوركى :

ترجمت إلى العربية فى الفترة الأخيرة عدة قصص لجوركى ، لم نعطنا بالرغم من تعددها فكرة كاملة عن ذلك الكاتب العملاق .. فسرحياته الرائعة التى تربو على الخمس عشرة مسرحية ، والتى تجعل منه علما من أعلام المسرح العالمى - لم يقدم أحد من قبل على تقديمها إلى قراء العربية .

بدأت قصص جوركى القصيرة تنشر حوالى عام ١٨٩٢ فى بدء عهد التحول فى روسيا ، وسرعان ما استرعت انتباه الرأى العام ، وأصبح مفهوم أن المؤلف الصغير الذى لم يتجاوز الرابعة والعشرين أكثر خبرة بحقائق الحياة فى المجتمع الروسى من معظم محترفى الكتابة فى ذلك الوقت ... فقد نشأ فى بيئة وضيعه قاسية عند جده الذى كان يملك مصنعا صغيرا للأصباغ . وقد اضطر وهو فى سن مبكرة إلى أن يعول نفسه فكان يعمل كثيرا متقللا من عمل إلى آخر وهو فى حالة شبه جوع دائم .

وكان من الطبيعى أن ينتهى به الأمر إلى أن يصير إسهافيا مثل داليوشكا ، أو مؤلف مفاتيح مثل «كلسيتش» اللذين صورهما فيما بعد فى المسرحية التى بين أيدينا.

كان من المحتمل أن ينتهى جوركى إلى هذا المصير لولا ظمأه المستمر الذى لا يعرف الرى إلى المعرفة . وبطريقة ما استطاع أن يحصل على قسط ضئيل من التعليم يسمح له بالعمل كاتباً لدى أحد المحامين ، وكان هذا عملاً محترماً نسبياً ، ولكنه لم يعطه الشعب الروحى الذى كان يلشده دائماً ، فدفعه شغفه بدراسة أحوال المجتمع الذى يعيش فيه إلى القيام بجولة كبيرة طاف خلالها أرجاء روسيا .. فأنحدر من مسقط رأسه دنيجنى نوجورود، فى أعالي نهر الفولجا حتى بلغ جنوب القوقاز، ثم عاد ثانية بعد أن قضى سنتين فى التشرّد والتجول مواجها الحياة الحقيقية المجردة من كل آثار الحضارة التقليدية المبتذرة، ومعاشرا كل أنواع حثالات المجتمع ونفائاته .

عاد جوركى مرة ثانية إلى المدنية ليعمل مخبراً فى إحدى الصحف الإقليمية ، مواصلاً كفاحه بالرغم من فترات السجن المتلاحقة التى حكم عليه بها لاتصاله بالشوار، ولكتاباته الصريحة التى كانت تعتبر فى ذلك الوقت خارجة على القانون .. وسرعان ما لاقت قصصه القصيرة النجاح الذى سمح له بالتفرغ لإنتاجه الفنى .

كان طبيعياً أن ينضم جوركى للشوار نظراً لتجاربه العديدة المبكرة وخبرته بمشاكل المجتمع الذى يعيش فيه . ولم تكن ثورته فاصرة على الأوضاع الفاسدة التى قضت على سواد الشعب أن يحيا حياة وضعية مهينة لإنسانيتهم ، وإنما كانت موجة كذلك ضد الطبقة المثقفة التى فقدت القدرة على فهم الحياة والرغبة فى القيام بعمل جدى ، وآثرت العافية بالانصراف إلى أعمالها اليومية التى تكفل لها لقمة العيش وحياة خالية من المتاعب .

ولقد صور جوركى فى القصة تلو القصة عالم المتشردين والأفاقيين الذين كان مجرد وجودهم وصمة كبيرة فى جبين النظام الاجتماعى القائم وقتذاك ، ولكن الغريب فى الأمر أنه كان يصورهم مخلوقات قوية تستطيع التغلب على حياتها المحزنة بالاستمتاع بمواطنها بحرية ، وصب احتقارها على الضعفاء والمتخاذلين ، وتمجيد قوتها الشخصية وتحررها من قيود التقاليد .

أثارت هذه الشخصيات الروسية المرفقة فى الرومانسية ، - والقريبة الشبه

بشخصية المتشرد الأمريكى التقليدية - خيال الجمهور الروسى وإعجابه ، وأصبح جوركى رمزا للمعارضة الثورية ضد المجتمع القائم ، فازداد ولع الشعب به ولاسيما الجيل الناشئ .

مسر حيات مكسيم جوركى:

بدأ جوركى يعالج الكتابة للسر و هو فى أوج شهرته الأدبية ، فأخرجت مسرحيته « المواطنون المغرورون » ، *The Smug Citizens* ، على مسرح الفن بموسكو عام ١٩٠٢ . وهذه المسرحية ولو أنها لا تعد من أعماله الممتازة ، إلا أنها تتصف بصفات خاصة كفلت نجاحها لدى الجمهور فى ذلك الوقت ، وإن لم تلاق مثل هذا النجاح لدى النقاد .

وأبرز هذه السمات تصويرها للعامل على أنه مخلوق أرقى من المثقف العادى ، فثالياته عمليّة ؛ يعرف ماذا يريد ، ولديه من قوة الإرادة ما يحقق له آماله . كل ذلك جعل هذه الشخصية هى الأصل بالنسبة لكل أبطال الطبقة الكادحة الذين يحفل بهم الأدب الروسى .

أما جوركى نفسه فقد كان أبعد الناس عن الرضى عن مسرحيته الأولى ، فقد كتب إلى تشيكوف عقب الانتهاء منها يقول :

« وبعد فلقد تحولت المسرحية إلى شيء كثير الضجيج والجلبة ، وهى مع ذلك سخيّة وتافهة .. وهى لا تعجبني أبداً . لقد اعتزمت أن أكتب هذا الشتاء دون إبطاء مسرحية ثانية ، فإذا لم تعجبني فسأكتب عشر مسرحيات أخرى حتى أحصل على ما أريد .. وما أريده هو أن تكون المسرحية متناسقة وجميلة مثل الموسيقى » .

وهذه الإشارة إلى الموسيقى ليست فى الواقع إلا انعكاساً لإعجاب جوركى بمسرحيات تشيكوف . ولقد حقق جوركى هذه الصفة إلى حد بعيد فى مسرحيته الثانية « الحضيض » ، وإن كانت موسيقاها تتبع عن تفاعل أفكار أجيد التعبير عنها

وعن مقومات دقيقة اشخصياتها ، بعكس مسرحيات تشيكوف التي تصدر موسيقاها عن الترانيم العاطفية التي تصاحب حركة المسرحية .
وليس في إمكاننا في هذه العجالة أن نشير إلى كل مسرحيات جوركي ، وإن كان من الممكن أن نحاول - على وجه التقريب - تخطيط السمات الواضحة المشتركة بينها .

تمتاز معظم مسرحيات جوركي بجو غريب جديد خاص بها ، هو غريب بالنسبة للمسرح التقليدي وقواعده المتوارثة وإن كان أقرب مايكون إلى جو الحياة الحقيقية ، كما تمتاز بشخصياتها الحية التي تخصص جوركي في التقاطها من دروب الحياة وإعطائها على المسرح كل مقومات حياتها النفسية والاجتماعية .

وجوركي بعد هذا قلما يتقيد بمحزفية الكتابة المسرحية فأغلب أعماله خالية من الحبكة التقليدية التي تتعقد حوادثها في الفصول الأولى حتى تصل إلى « الذروة » ثم تبدأ بعد ذلك تحل في الفصول الأخيرة ، كما أنها قلما تدور حول مشكلة اجتماعية أو أخلاقية واحدة ، تتخصص في عرضها ورسم طرق العلاج لها .. فهي لا تعدو أن تكون عرضا بسيطا ساذجا للحياة نفسها بكل ما فيها من عيوب ومشكلات ، وللأشخاص الذين يعيشون هذه الحياة بكل ما فيهم من انحطاط وسمو وتناقض ، تربط بينها وتوجد لها الوحدة الفنية المتناسكة روح جوركي الساخرة الدائمة التساؤل والبحث ، وفنه الواقعي الاصيل ؛ ولقد كان جوركي دائما أضخم مما أراد أن يكون لأن إحساسه كان أعمق من تفكيره ، ولعل في هذه العبارة الأخيرة - التي وصفه بها الشاعر الروسي الكبير ألكسندر بلوك - سر عظمته الفنية وعبقريته المبدعة .

هذه المسرحية :

تقع حوادث هذه المسرحية في إحدى المدن الواقعة على نهر الفولجا في أوائل هذا القرن ، والأشخاص الذين سنلتقي بهم فيها من يسكنون منزل « كستليوف » ، يمثلون الطبقة المعروفة في روسيا باسم « الحفاة » . وهو اسم يطلق على الأفراد الذين

اعتادوا القيام بأعمال وقتية غريبة ، ولكنهم يتكسبون في الأغلب عن طريق حصاقهم واحتياهم على الناس .

ويكثر عدد هذه الطبقة المنبوذة بصفة خاصة في الموانئ والمدن الساحلية التي تعتبر دائماً بيئة صالحة لانجذاب المجرمين والمتشردين .

ونلاحظ أن ثلاثة من أشخاص المسرحية من ربيبي السجون وهم « البارون » ، « دساتن » ، « دفاسيل » ، وكذلك « لوقا » - إذا أخذنا بالقصة السينائية التي استمدها جوركي من هذه المسرحية - ولو أنه سار على الطريق القويم كما سئى .

وثلاثة آخرون يمثلون شخصية العامل الشريف الواعي ، وهم « مولف » ، « المفاتيح » « كستش » ، « وحمالا الميناء » « جويت » « دالتري » .. وحتى صانع القبعات الساخر « بوبنوف » ، مستقيم هو الآخر ولكن على طريقته الخاصة .

والمقابلة بين هذه الشخصيات واضحة الدلالة . وإن كان الهدف الأخلاقي للمسرحية لا يتضح في الغالب إلا خلال أحاديث كل من « دساتن » ، « لوقا » ، « دفاسيل » .

وحيثما أخرجت « الحضيض » على مسرح الفن بموسكو لاقت نجاحاً منقطع النظير وأجازها النقاد مع شيء قليل من التحفظ . فقد حيرتهم الرسالة الأخلاقية التي تهدف إليها المسرحية ، هل كان العجوز « لوقا » بحديثه الناعم وأكاذيبه المريحة التي يظل يوزعها على الناس طوال المسرحية ، هل يعتبر لوقا هذا معبراً عن رأى جوركي ؟ .. وهل تؤخذ أفكاره الغريبة على هذا الأساس بعين الجد والاعتبار ؟

كادت المناقشات الحامية التي دارت حول المسائل الأخلاقية التي تضمنتها المسرحية أن تطمس هذه الحقيقة ألا وهي أن « الحضيض » عمل فني رائع يزخر بحياة متدفقة ، كما أنها تعرض شخصيات فريدة جديدة على المسرح . هذا إلى جانب العبارات المأثورة المتمثلة بحكمة وذكاء . والمنثرة هنا وهناك خلال المسرحية . وهي لكل ذلك توضع مع مسرحيتي « الذكاء المهلك » ، « Wit Works Woe » ، لجريسدوف . و « المفتش العام » ، « The Inspector General » ، لجوجل في مرتبة واحدة لا يتناول إليها من إنتاج مسرحي روسي آخر .

وليس معنى هذا أن «الحضيض» عمل فني فريد خال من كل عيب، فقد استطاع تشيكوف أن يضع أصابعه على بعض العيوب في خطاب كتبه إلى جوركي يقول فيه:

«لقد حذفت في الفصل الرابع أهم الشخصيات (ماعد الممثل) ولم تقدر عاقبة ذلك، فقد يبدو هذا الفصل سخيفا ولا ضرورة له وخاصة بعد أن اختفى أهم الممثلين، ولم يبق سوى المتوسطين منهم. وكذلك فإن موت «الممثل» بالغ الفظاعة تماما كأنك تضرب المتفرج فوق أم رأسه لجأة دون أن تعدد لذلك.. وهذا البارون كيف وصل إلى هذا المسكن الليلي؟.. ولماذا هو بارون؟ لم يتضح كل هذا بما فيه الكفاية أيضا».

ولم يستمع جوركي لنصيحة تشيكوف وأبقى الفصل الرابع هو.

وواضح أن تشيكوف في نقده هذا إنما يصدر عن الأصول المسرحية المتعارف عليها. وللقارىء بعد أن ينتهى من قراءة المسرحية أن يوافق فيما ذهب إليه؛ أو يرى معى في موت الممثل وتعليق «ساتن» عليه تعليقا قصيرا يقطر بالسخرية المرة - التي هى طابع المسرحية كلها - أروع خاتمه كان يمكن أن تنتهى بها هذه الشحنة الزاخرة من الحيوات والمشاعر التي قدّمها لنا جوركي في مسرحيته.

وبعد، فإن حياة المسرحية في تمثيلها، ولقد أقدمت على نشر هذه المسرحية في كتاب لعلنى بأن رجال المسرح المصرى يجمعون عادة عن اقتحام أجواء مسرحية جديدة كتلك التي تعرضها الحضيض بحجة عدم استساغة الجمهور لها. ولكنى أرى أن هذا الإحجام قد آن له أن ينتهى، وأن على القائمين على أمر مسرحنا إن أرادوا له الحياة والنهوض أن يقدموا لنا كثيرا جدا من الأجواء الحية المختلفة التي يعرضها المسرح العالمى الحديث.

المنترجم

الحـضـيـض

أشخاص المسرحية

السن	
٣٣ سنة	البارون : (The Baron)
٤٠	كفاشنيا : (Kvashnya) بائعة فطائر في السوق
٤٥	بوبنوف : (Bubnov) صانع قبعات
٢٤	ناستيا : (Nastya) فتاة من الشارع
٣٠	آنّا : (Anna) زوجة كلستش
٤٠	كلستش : (Klestch) «مؤلف، مفاتيح»
حوالى ٤٠	ساتن : (Satin)
في العقد الخامس	الممثل : (The Actor)
٥٣ سنة	كُستليوف : (Kostilyov) صاحب المنزل
٢٨	فاسيلي : (Vassily (Vassya) Peppel)
٢٠	ناتاشا : (Natasha) شقيقة فاسيليا
٨٠	لوقا : (Luka) حاج
٢٠	أليوشكا : (Alyoshka) اسكاف
٢٦	فاسيليا : (Vassilissa Karpovna) زوجة كستليوف صاحب المنزل
	مدفديف : (Abram Ivanych Medvedev) شرطى وعم كل من ناتاشا
٥٠	وفاسيليا
	التترى : (The Tartar) من حمالي الميناء.
	جوير : (The Goiter)

الفصل الاول

[قبو ، مظلم كالكهف ، السقف شديد التقوس ، ومسود من أثر الدخان ، وبه ترميمات عديدة . يدخل الضوء من جهة النظارة ، ومن نافذة مربعة في أعلى الحائط الأيمن ... الركن الأيمن مفصول بحاجز خشبي رقيق خلفه حجرة فاسيلي - وبجوار الباب المؤدى إلى هذه الحجرة يوجد سرير بونوف (*) . في الركن الأيسر فرن روسي كبير بجواره الباب المؤدى إلى المطبخ حيث تسكن كفاشليا والبارون وناستيا - بين الفرن وباب المطبخ سرير كبير محجوب بستار قدر من التطن المطبوع ، وفي كل مكان بجدار الجدران توجد أسرة خشبية منخفضة . وقريبا من الحائط الأيسر توجد كتلة من الخشب عليها مطرقة وسندان ، يجلس أمامها كاستش - على كتلة أصغر مشغولا بتجريب مفاتيح في أقفال قديمة . على الأرض مجموعتان من المفاتيح ، كل منهما مربوطة في حلقة من السلك ، وإبريق شاي قديم مصنوع من الصفيح ، وقدم ، وبعض المبارد .

في وسط المكان منضدة كبيرة عليها إبريق شاي روسي (ساموفر) وحولها أريكتان خشبيتان ومقعد خشبي مربع لا ظهر له ، وهي جميعا غير طالية وقدرة . كفاشليا أمام المائدة تعد الشاي ، وبجوارها البارون يقضم قطعة من الخبز الأسمر بينما تجلس ناستيا على المقعد متكئة على المنضدة وهي تقرأ في كتاب بال . أنا نائمة على السرير خائف الستار تسعل سعالا مسموعا . بونوف - صانع القبعات - جالس على سريره الخشبي وقد وضع قالب قبعات بين ساقيه يقيس عليه سروالا بمزق باحثا عن خير طريقة لقص القماش ، وقد تناثر حوله صندوق قبعات ممزق به ثقب ،

(*) وهو أريكة خشبية منخفضة من النوع الذي كان مستعملا في سجون روسيا وفي فنادقها الرخيصة .

وقصاصات من القماش ، وأثواب قديمة . سائن — وقد استيقظ من النوم لثوه —
مستلق على سريره يصدر أصواتا حلقية عالية . يجلس « الممثل » أعلى القرن بحيث
لا يراه الجمهور — يتملبل ويسعل .

[الوقت صباح في مستهل الربيع .]

البارون : حسنا — استمرى .

كفاشنيا : قلت له : لا يا صديقي ابتعد عني . . . فقد جربت كل ذلك من قبل
ولن تستطيع الآن أن تجعلني أقف معك أمام القسيس حتى ولو
ابتعت لي مئات من « الجنبرى » المسلوق .

بوينوف (لسائن) : — علام هذا الضجة ؟

(يستمر سائن في تثاوبه وضجيجيه)

كفاشنيا : وقلت له أيضا أنا ، السيدة الحرة ومالكة نفسى ، أضع اسمى فى
جواز سفر شخص آخر ، وأجعل نفسى عبدة لرجل ؟ أبدا لن
أزوجه ولو كان أميرا أمريكيا .

كلستش : كذابة !

كفاشنيا : ماذا تقول ؟

كلستش : إنك تكذبين وسوف تزوجين مدفد يف .

البارون (يخطف كتاب ناستيا ويقرأ عنوانه) : « الحب القاتل » (يضحك) .

ناستيا (مادة يدها) : أعطنى الكتاب ... ولا تكن طفلا (البارون يحملنى

فيها ملوحا بالكتاب فى الهواء) .

كفاشنيا (لكلستش) : أنا كذابة أيها الجددي الأحمر ؟ أنا كذابة ؟ كيف

تجرؤ على مخاطبتي بهذا الشكل ؟

البارون (يضرب ناستيا على رأسها بالكتاب) : يالك من غبية ياناستيا !
ناستيا (وهي تستخلص الكتاب من يده) : دعنى آخذه .

كلستش : هاها ... إنك سيدة عظيمة وإلكنك مع ذلك ستزوجين مدفديف
لأن ذلك هو منتهى أملك .

كفاشنيا : آه بالطبع — فليس لدى فرصة أحسن .. لقد أضيت زوجتك حتى
أوشكت على الموت .

كلستش : اخرسى أيتها الخنزيرة العجوز ! ليس هذا شأنك !
كفاشليا : إنك لا تحب سماع الحقيقة :

البارون : هاهى ذى تعود ! ماذا تفعلين . ياناستيا ؟

ناستيا (دون ان ترفع رأسها عن الكتاب) : ابتعد عنى !

آنا (تبرز رأسها من وراء الستار) : يوم آخر يبدأ ! بالله عليكم كفوا
عن الصراخ والعراك !

كلستش : هاهى ذى تعود لأنينها ثانية .

آنا : كل يوم نفس الحكاية . ألا تدعوننى أموت فى هدوء ؟

بونوف : لم يحدث أن منع الضجيج أحدا من الموت .

كفاشنيا (ذاهبة إلى فراش آنا) : كيف تستطيعين الحياة مع وحش كهذا ؟

آنا : اتركىنى وشأنى —

كفاشنيا : فليكن — إنك معذبة صابرة أيتها الروح البائسة — كيف حال
صدرك اليوم ؟ أحسن ؟

البارون : كفاشليا ! هذا وقت الذهاب الى السوق .

كفاشنيا : إنى قادمة (لآنا) هل لك فى بعض فطائر ساخنة باللحم ؟

آنسا : لا - أشكرك ... لماذا أضايق نفسي بالأكل ؟
 كفاشنيا : هوني على نفسك . إن سخونة الفطائر مريحة لصدرك - سأترك لك
 شيئاً منها في طبق - كليها متى وجدت في نفسك الرغبة . (للبارون)
 هيا بنا أيها النبيل ... (لكاستش) أنت يا شيطان ! (تذهب الى المطبخ) .
 آنسا (تسعل) : يارب !

البارون (يربت على كتف ناستيا) : اتركي هذا يا غبية .
 ناستيا (بصوت عال) : اذهب - لاجابة لي بك .
 (البارون يتبع كفاشنيا وهو يصفر) .
 ساتن (يجلس في فراشه) : من الذي مربني ليلة أمس ؟

بوينوف : وهل هناك فرق ؟

ساتن : يبدو أنك محق - ولكن لماذا ضربوني ؟

بوينوف : هل قامرت ؟

ساتن : نعم .

بوينوف : إذن فمن أجل هذا ضربوك .

ساتن : تبا لهم .. هؤلاء الملاحين الأتقار !

الممثل (يخفض رأسه من أعلى القرن) : إنهم سيضربونك ذات يوم
 حتى تموت .

ساتن : إنك غبي .

الممثل : لماذا ؟

ساتن : لأنه لا يمكن قتل رجل مرتين !

الممثل (بعد فترة صمت) : لا أنهم - ولم لا ؟

كلستش : الأفضل أن تنزل من فوق الفرن وتظف المكان - لقد طال بقاؤك هكذا بدون عمل .

الممثل : هذا لا يعنيك .

كلستش : انتظر حتى تحضر فاسيليا إنها ستريك من الذى يعنيه هذا .

الممثل : إلى الجحيم بفاسيليا - إن الدور فى الكس اليوم على البارون . بارون !

البارون (يدخل من باب المطبخ) : ليس لدى وقت للتنظيف أنا ذاهب إلى السوق مع كفاشليا .

الممثل : ليس هذا من شأنى - لتذهب إلى السجن إذا شئت ولكنه دورك فى كس الأرض وأنا لن أقوم بعمل غيرى .

البارون : يا للشيطان .. ناستيا ستكس عنى - هيه .. أنت أيتها الحب القاتل ، استيقظى (ينخطف منها الكتاب) .

ناستيا (تعتدل فى جلستها) : ماذا تريد ؟ هات الكتاب أيها الصعلوك .
تسمى نفسك نبيلًا !

البارون (يعيد الكتاب إليها) : ناستيا ... اكسى الأرض بدلا منى ..
هل ستفعلين ؟

ناستيا (تذهب إلى المطبخ) : لا - أشكرك .

كفاشليا (تظهر على الباب وتخطب البارون) : هيا بنا - فهم يستعلمون تنظيف المكان بدونك .. لقد طلب إليك ذلك أيها الممثل ، وعليك أن تفعله .. والكس لن يقصم ظهرك على أى حال .

الممثل : دائما أنا... ولا أستطيع أن أفهم لماذا !
 البارون (يدخل وعلى كسفيه عارضة خشبية معلق على طرفيها سلتان مليتان بأوان مغطاة بقطع من القماش) : إنها ثقيلة اليوم .
 سائر : لم تكذب تتمتع بكونك ولدت بارونا !
 كفاشنيا (الممثل) : والآن هل تسمح بكلس الأرض ؟ (يخرج البارون تبعه كفاشنيا)
 الممثل (ينزل من على القرن) : من العسير على أن أستنشق التراب (يتحدث متعازلا) إن أعضائي كلها قد تسممت بالكحول . (يجلس على سرير خشبي ويفرق في التفكير)
 سائر : أعضاء — تركيب .
 أنبا : كلستش .
 كلستش : ماذا تريدن الآن ؟
 أنبا : لقد تركت كفاشنيا لى بعض الفطائر هناك — كلها .
 كلستش (يسير إليها) : ألن تأكلها أنت ؟
 أنبا : لا — أنا لا أريدها — لماذا آكل ؟ أما أنت فتشتغل وتحتاج إليها .
 كلستش : هل أنت خائفة ؟ — لا تخافى . فقد تحسن صحتك —
 أنبا : إذهب وكل الفطائر — أما أنا فإني أشعر بقرب نهايتى .
 كلستش (يتحرك مبتعدا عنها) : لا تبالى فقد يزول عنك المرض — إن هذا يحدث أحيانا . (يختفى فى المطبخ)
 الممثل (بصوت عال كمن استيقظ فجأة) : لقد قال لى الطبيب أمس فى

المستشفى إن أعضاءك قد تسممت تماما بالكحول .

ساتن (مبتسما) : — تركيبك .

الممثل (بإصرار) : ليس تركيبى وإنما أعضائى .

ساتن : إنك أبله .

الممثل : (يلوح بيده فى وجهه) أنت وتخريفك ... إني أنحسث جادا ، إذا كانت أعضائى مسممة بالكحول فإنه يضرنى كلس الأرض واستشاق التراب .

ساتن : ميكروبات . هيه .

الممثل : ما هذه التمتة ؟

ساتن : كلمات .. هاك كلمة أخرى « ترانسيت دنتال » ، (transit - dental)

الممثل : ما معنى هذه الكلمة ؟

ساتن : لا أدرى ... لا أستطيع ان أتذكر .

بوبنوف : ولماذا تقولها إذن ؟

ساتن : لأنى متعب يا صديقى من كل الكلمات البشرية ... من كلماتنا - لقد

ضجرت منها — لقد سمعت كل كلمة منها ألف مرة .

الممثل : فى رواية « هاملت » يقول شكسبير ، الكلمات - الكلمات - الكلمات ،

رواية رائعة ؛ لقد قتت فيها بدور حافر القبور .

كلستش (يدخل من باب المطبخ) : ومتى ستقوم بدور الكناس ؟

الممثل : ليس من شأنك . (دافعا على صدره) ما أجمل ، أوفيليا ، أيتها

الحورية الحسنة ، اشغى لى فى ذنوبى كلها - (تسمع من خارج المسرح

ضجة ، وصراخ وصوت صفارة شرطى . يرجع كلستش إلى عمله وقد أمسك بمبرد في يده)

ساتن : أنا أحب الكلمات الغريبة التى لا أستطيع فهمها — حينما كنت صبياً كنت أعمل فى مكتب تليفراف وكنت أقرأ كثيراً من الكتب — بوبنوف : إذن فقد كنت عامل تليفراف أيضاً ؟ ساتن : نعم — وكانت لدى مجموعة من الكتب القيمة المليئة بالكلمات الغريبة . لقد كنت شخصاً مثقفاً .

بوبنوف : لقد سمعت هذا مائة مرة — فاذا فى ذلك ؟ — لقد كنت أنا صانع فراء فى يوم من الأيام وكان لى دكان خاص بى وكأنت يداى مصفرتين من صبح الفراء . كراتنا مصفرتين حتى مرفقى ... وكنت أظن أنهما لن تتخلصا من هذا اللون أبداً . . . وأنى سأذهب إلى قبرى بذراعين مصفرتين . . . ولكن انظر إليهما الآن . . . هيه ، إنهما قدرتان ليس إلا .

ساتن : وماذا بعد ذلك ؟

بوبنوف : لاشئ . . . هذا كل ما فى الأمر .

ساتن : ما الذى تقصده بهذه القصة ؟

بوبنوف : العظة ولا شئ غير العظة . . . وهى تتلخص فى أنه لا يهيم مطلقاً كيف تظلى نفسك — لأن ذلك كله سيتلاشى . . . سيتلاشى كله .

ساتن : أوه . . . إن عظامى تؤلمنى .

الممثل (يجلس واضعاً يديه حول ركبته) : التعليم سخيف — وإنما المعول

عل الموهبة . لقد كنت أعرف ممثلا لا يكاد يقرأ حرفا واحدا ..
ولكنه ما كان يعتلى خشبة المسرح حتى يضج النظارة بالتصفيق
وصياح الإعجاب .

ساتن : بوبنوف - أعطني خمسة كوبيكات .

بوبنوف : كل ما معي اثنان .

الممثل : أنا أعتقد أن الموهبة هي كل ما يحتاج إليه الممثل .. والموهبة
هي ثقة المرء بنفسه وقوته .

ساتن : أعطني خمسة كوبيكات .. وحينئذ أصدق أنك موهوب ، وبطل ،

وتمساح، وضابط بوليس، وكل ما تريد - كلستش، أعطني خمسة كوبيكات .

كلستش : اذهب إلى الجحيم .. فهنا كثير مثلك .

ساتن : لماذا تسب ؟ أنا أعلم أنك لا تملك نقوداً على الإطلاق .

آنا : كلستش إنني أشعر بالاختناق وبألم شديد .

كلستش : وما الذي أستطيع أن أفعله لك ؟

بوبنوف : افتح باب الصلاة .

كلستش : أ شكرك .. إنك تجلس على الفراش - بينما أجلس أنا على الأرض ؛

دعني آخذ مكانك وحينئذ تستطيع أن تفتح الباب كما تريد . . .

وعلى كل حال فأنا مصاب بالزكام .

بوبنوف (يهدوء) : - ليس هناك ما يدفني إلى فتح الباب .. إنها زوجتك

التي تريد ذلك .

كلستش (عابسا) : إن الناس لا يتورعون عن طلب أى شيء .

سائق : آه ! إن رأسي يدور .. إلى أريد أن أعرف لماذا يضرب الناس بعضهم بعضا على الرأس .

بوينوف : ليس على الرأس وس لحسب - ولكنهم يفعلون ذلك ببقية أجزاء الجسم أيضا . (وهو ينفض) يجب أن أذهب لشراء بعض الخط .
شئ غريب - إن صاحب البيت وزوجته لم يظهرا حتى الآن -
لعلهما ضل الطريق - (يخرج) .

(تسعل أنا .. سائق نائم بلا حراك وقد توسد ذراعيه)

الممثل (ينظر حوله بعينين حزيتين ثم يتجه إلى فراش أنا) : هل تشعرين بألم ؟

أنا : إن الجود طب هنا .

الممثل : إذا أحببت فأني آخذك إلى الصالة .. هيا قومي (يساعد أنا على القيام ويضع ثوبا قديما على كتفها ثم يقودها إلى الردهة الخارجية متأبطا ذراعها) هيا تقدمي أنا نفسي مريض ... مسنم بالكحول .
(يظهر كوستليوف بالبواب)

كوستليوف : هل أنتما خارجان للزفة أنتما زوج رائع - نعمة وكبش !

الممثل : أفسح الطريق .. ألا ترى المرضى خارجين .

كوستليوف . مر من فضلك (يدندن بأغنية وينظر في أنحاء المكان مرتابا - ثم يتجه برأسه إلى الناحية اليسرى كمن يحاول سماع ما يدور في حجرة فاسيلي . كلستش في مكانه يعالج مفاتيحه وقد قبض على مبرد في يده وهو يراقب صاحب المنزل بطرف عينيه) أنت تبرد .. هيه ؟

كلستش : ماذا تقول ؟

كستليوف : أقول إنك تبرد (بعد لحظة صمت) آه - عن أى شيء أردت أسألك ؟
(بسرعة وبصوت منخفض) هل أتت زوجتى إلى هنا ؟ -

كلستش : لم أرها .

كستليوف (يتحرك حذرا نحو حجرة فاسيلي) : ياله من مكان فسيح هذا
الذى تستأجره منى لقاء روبلين كل شهر ! سرير ومكان للجلوس ؛
أقسم أن ذلك يساوى خمسة روبلات كاملة . . أعتقد أنى سأرفع
الإيجار نصف روبل .

كلستش . ارفنى أنا من رقبتي واخفنى فهذا أفضل . . إنك ستموت عما
قريب وليس هناك ما يشغل بالك سوى أنصاف الروبلات .

كستليوف : لماذا أخفك ولن يستفيد أحد من هذا ؟ ليحفظك الله أيها الرجل
الطيب ، ولتش مل - الحياة ، ولكننى سأرفع إيجارك نصف روبل .
فهذا سيجعلنى أزيد كمية الزيت التى أشتريها لتقديلى فى الهيكل
وسيزيد هذا اشتعال قربانى أمام الهيكل المقدس ، وهذا القربان
سيكفر لى عن آثامى . . . وعن آثامك أنت أيضا . . . إنك لم
تفكر فى آثامك قط . . هل فعلت ذلك مرة ؟ . . . آه يا كلستش
إنك إنسان حقير ولقد ذبلت زوجتك بسبب حقارتك . لا يوجد
من يحبك أو يحترمك ، وعملك بصلك الآذان ويزعج الناس .

كلستش : هل جئت الى هنا لتوبخنى ! (ستن يصدر صوتا كالزئير)

الممثل . لقد أجلسست السيدة فى الردهة الخارجية وغطيتهما . . .

كستليوف . إن لك قلبا طيبا أيها الصديق . . . وهذا جميل سيحسب لك . .
الممثل : متى ؟

كستليوف : في العالم الآخر يا صديقي - كل عمل ، كل شيء يدخل في حساب
الإنسان هناك .

الممثل : هذا هناك . . ولكن هنا ينبغي أن تكافئني أنت على طيبي .
كستليوف : هنا . . وكيف أستطيع هذا ؟

الممثل : تنازل عن نصف ديني لك .

كستليوف : هيه . هه ! تستمر في فكاهاتك وتمثيلك يا صديقي العزيز . . ولكن
لماذا تربط بين طيبة القلب والنقود ؟ إن الطيبة فوق كل
الاعتبارات المادية . . أما الدين الذي عليك فهو كما هو - دين .
ولذلك فسترده إلى . . إلى رجل عجوز فيجب أن تعاملني معاملة
طيبة دون أن تنتظر مكافأة .

الممثل : عجوز ! . . إنك تذل .

(يدخل الممثل المطبخ وينفض كستش ويخرج إلى الردهة)

كستليوف (لسان) : لقد هرب هذا البراد . . هه هه . . إنه لا يخفى .
ساتن . ومن الذي يجب ؟ هذا باستثناء الشيطان بالطبع .

كستليوف (متضحكا) : إنك ذكي وأنا أجبك وأفهمك . . أيها الأخ
النفس المحطم العديم القيمة . . (فجأة وبسرعة) هل فاسيلي هنا ؟

ساتن . ادخل وانظر .

كستليوف (يذهب إلى باب فاسيل ويطرقه) : فاسيلي .

(يظهر الممثل على باب المطبخ وهو يمضغ شيئا)

فاسيلي (من خارج المسرح) : من الباب ؟

كستليوف : أنا . . يا فاسيلي .

فاسيلي (وهو بداخل حجرته) : ماذا تريد ؟

كستليوف (يبتعد عن الباب) : افتح .

ساتن (دون أن ينظر إلى كستليوف) : سيفتحم وستجدها بالداخل .

(الممثل يضحك) .

كستليوف (مدعورا وبصوت منخفض) : ما هذا ؟ من هي التي بالداخل ؟ .

ماذا تعني ؟

ساتن : هل تكلمني ؟

كستليوف : ما هذا الذي قلته ؟

ساتن . : كنت أتحدث إلى نفسي .

كستليوف : احترس أيها الصديق واعرف من يجب أن تكف عن فكاهاتك .

نعم ، يجب أن تعرف ! (يطرق باب فاسيلي بقوة) فاسيلي .

(يفتح فاسيلي الباب)

فاسيلي : حسنا ؟ ما الذي تبغيه من إزعاجي ؟

كستليوف (يحاول الدخول إلى الحجرة) . أنت ترى أن لدى —

فاسيلي : هل أحضرت النقود ؟

كستليوف : هناك مسألة أحب أن أكلّمك فيها .

فاسيلي : هل أحضرت النقود ؟

كستليوف : أى نقود ؟ .. انتظر —

فاسيلي : النقود — الروبلات السبعة، بقية ثمن الساعة — هيا —

كستليوف : أى ساعة ؟ أوه يا فاسيلي .

فاسيلي : اسمع ! بالأمس بعثت ساعة أمام شهود بعشرة روبلات ولم أتسلم

منك سوى ثلاثة — والآن أعطني السبعة الباقية .. لماذا تغمزني

هكذا ؟ إني أتأني هنا تسكع وتقلق النائمين ، ولكنك لا تعرف ما عليك .

كستليوف : هه ! لا تفقد أعصابك يا فاسيلي .. الساعة — آه لقد

تذكرت ، إنها —

ساتن : من البضائع المسروقة ..

كستليوف (بحزم) : أنا لا أشتري بضائع مسروقة .. كيف تقول هذا ؟

فاسيلي (يمسك بكشف كستليوف) : لماذا أيقظتني ؟ ماذا تريد ؟

كستليوف : لا شيء — سأذهب إن كان هذا يرضيك .

فاسيلي : اذهب وأحضر النقود .

كستليوف : يا لكم من أشرار ! (يخرج) .

الممثل : كوميديا محبوكة .

ساتن : ورائعة ! إنها تعجبني .

فاسيلي : ما الذي جاء به إلى هنا ؟

ساتن : ألا تفهم ؟ إنه يبحث عن زوجته . لماذا لا تقتله يا فاسيلي ؟

فاسيلي : إنه همل لا يساوى تضحية حياتي من أجله .
ساتن : في إمكانك أن تحكم تدير الأمر .. وعندها تستطيع أن تزوج فاسيليا وتصبح صاحب البيت الذي نسكنه .

فاسيلي : وهل سأبقى المالك طويلا ؟ إنكم بقلوبكم الرحيمة ستبتلعون أملأكي في حانة وتبتلعونني أنا كذلك . (يجلس على أحد الفرش) لقد أيقظني ذلك العجوز المزعج بينما كنت أرى في نومي حلما جميلا - كنت أصطاد في مكان ما - فاصطدت سمكة ضخمة ضخمة لا توجد إلا في الأحلام ، ثم أخذت أسحب السمكة وأنا أخشى أن ينقطع الخيط - وأعددت السلة لأضع فيها هذه السمكة الضخمة -
ساتن : لم تكن هذه سمكة ... إنها فاسيليا .

الممثل : لقد اصطاد فاسيليا من زمن بعيد .

فاسيلي : اذهبوا جميعا إلى الجحيم ... أتم وفاسيليا !
(يدخل كلستش من الردهة)

كلستش : لعنة الله على هذا البرد .

الممثل : لماذا لم تدخل آنسا ؟ إنها ستموت من البرد .

كلستش : لقد أخذتها نانا شا إلى مطبخها .

الممثل : سيلقيها العجوز خارجا .

كلستش : (يجلس ليتابع عمله) : لا بأس ، في هذه الحالة ستميدها نانا شا إلى هنا .

ساتن : فاسيل - أعطني خمسة كوبيكات .

الممثل (لسان) : خمسة كوبيكات ! اسمع يا فاسيلي - أعطنا ربع روبل .
 فاسيلي : الأفضل أن أعطيك إياه حالا قبل أن تطلبنا روبلا كاملا . هذا هو !
 سائن : يا لله ! ليس هناك من هو أسعد حالا من اللصوص .

كلستش : إن المال يأتيهم بسهولة دون أن يعملوا .

سائن : إن المال يأتي بسهولة لكثير من الناس ، ولكن ليس بحيث يضعونه
 بنفس السهولة - أما العمل ففي إمكان أن أقوم به لو كان فيه بعض
 المتعة . نعم من الممكن أن أقوم به . . . فحينئذ يكون في العمل شيء من
 المتعة تصبح الحياة سعيدة ! ولكن حينئذ يكون واجبا فحسب فإن الحياة
 تصبح عبودية . (للممثل) هيا يا د ساردانا بالس ، (Sandanpalus)

الممثل : هيا يا د نبوشادنزار ، (Nebuchandnezzar) : - إني سأشرب
 الليلة مقدار ما يشربه أربعة آلاف سكير معاً . (يخرجان)

فاسيلي (متثائبا) : كيف حال زوجتك ؟

كلستش (بعد فترة صمت) : يبدو أنها ستموت قريبا .

فاسيلي : إني كلما نظرت إليك لم استطع أن أجد أى فائدة لعملك هذا !

كلستش : وهل في إمكان أن أقوم بعمل آخر ؟

فاسيلي : لا تصنع شيئا .

كلستش : وكيف آكل ؟

فاسيلي : هناك أناس كثيرون لا يعماون شيئا . . . ويعرفون مع ذلك كيف
 يأكلون .

كلستش : هل تعني هؤلاء الذين يسكنون هنا ؟ . . . إنهم ليسوا أناسا - إنهم

حالة أوغاد ... أما أنا فعامل وأشعر بالخجل حينما أنظر إليهم .. لقد بدأت أعمل منذ كنت صغيراً .. إنك تظن أنى سأبقى فى هذا المكان ؟ - لا - إنى سأخرج زاحفاً من هذا الجحر حتى ولو كان فى ذلك سلخ جلودى .. ولكن انتظر حتى تموت زوجتى - لقد عشت هنا ستة أشهر كانت كسبت سنوات .

فاسيل : إنك مخطيء فى هذا .. فليس هنا من هو أسوأ منك حالاً .

كلستش : ليسوا أسوأ منى ا هؤلاء الذين ليس لهم شرف أو ضمير .

فاسيل (بغير مبالاة) : ما قيمة الشرف أو الضمير ا إنك لا تستطيع أن تلبسهما فى قدميك بدل الحذاء .. الشرف والضمير مهيان بالنسبة للأقوياء القادرين فقط .
(يدخل بونوف)

بونوف : ياه ... إنى أرتجف من البرد ا

فاسيل : بونوف ... هل عندك ضمير ؟

بونوف : ماذا ؟ ضمير ؟

فاسيل : نعم هذا ما قلته .

بونوف : وماذا أفعل به ؟ إنى لست ثرياً .

فاسيل : هذا ما كنت أقوله الآن .. الأغنياء وحدهم - هم الذين يحتاجون إلى الشرف والضمير ولكن هاهوذا كلستش يعيرنا ويقول إننا لاضمائر لنا .

بونوف : ولماذا ؟ هل يريد أن يقترض بعضها .

فاسيل : لا - إنه يملك الكثير منها .

بونوف (لكلستش) : إذن فأنت تبعها ! لا بأس ولكنك ستقاسى كثيراً

حتى تجد مشترياً واحداً هنا ... هناك شيء واحد أرغب في شراؤه ...
اوراق اللعب المعالة - وحتى هذه يجب أن تكون على الحساب .
فاسيلي (لكستش) : إنك غبي يا لكستش يجب أن تستمع إلى آراء ساتن
او البارون عن الضمير .

لكستش : ليس هناك ما يدفعني إلى محادثتهما .

فاسيلي : إنهما أذكى منك بالرغم من سكرهما المتواصل .

بوينوف : كن سكيراً وذكياً تعش سعيداً .

فاسيلي : يقول ساتن « إن كل إنسان يريد من جاره أن يكون ذا ضمير
ولكنه لا يشترط ذلك في نفسه - فينتهي الأمر إلى عدم وجود
شخص واحد عنده ضمير » ، وهذا حق .

(تدخل ناتاشا يتبعها لوقا ممسكا في يده عصا وعلى ظهره

حقيبة ريفية ويتدلى من حزام في وسطه إبريق شاي وكوب .)

لوقا : أسعدتم صباحاً أيها القوم الشرفاء .

فاسيلي (يبعث بشاربه) : آه .. ناتاشا !

بوينوف (محدثا لوقا) . شرفاء ؟ .. لقد كنا كذلك .. أما الآن فهل تراهن

على أننا قد نسينا مدلول هذه الكلمة ؟

ناتاشا : هذا ساكن جديد .

لوقا : إن هذا يستوى عندي فأنا أحترم حتى المجرمين .. وفي رأي أن

البراغيث كلها سواء ، فهي جميعاً سوداء وتجييد القفز .. أين أستطيع

أن أمدد جسمي يا عزيزتي ؟

ناتاشا : (تشير إلى باب المطبخ) ادخل هنا أيها الجد .

لوقا : شكراً يا بليتي .. أينما أردت .. فكل مكان دافئ . وطن بالنسبة
لرجل عجوز مثلي . (يخرج)

فاسيلي : يا له من عجوز طريف - هذا الذي جئت به يا ناتاشا .

ناتاشا : إنه أطرف منك ، إن زوجتك بمطبخنا يا كلستش .. تعال سخنها
بعد قليل .

كلستش : حسناً ، سأفعل .

ناتاشا : يجب أن تعاملها برقة يا كلستش فهي لن تعيش طويلاً .

كلستش : أعلم هذا .

ناتاشا : تعلم ألا يكفي أن تعلم - يجب أن تفهم ؛ إن الموت شيء مخيف .

فاسيلي : إنني لا أخاف الموت .

ناتاشا : إذن فأنت شجاع .

بوينوف (يصفر) إن هذا الخيط تالف .

فاسيلي : حقاً .. أنا لا أخاف الموت وسأرضى به في أية لحظة .. الآن ..

خذني خنجرأ واطعني في قلبي فأموت دون زفرة أسف واحدة -

بل إنني سأموت سعيداً لأن يدا طاهرة هي التي قتلتني .

ناتاشا : (وهي تستدير للخروج) خير لك أن تحاول خداع غيري .

بوينوف : (يببطه) إن هذا الخيط تالف حقاً .

ناتاشا : (وهي خارجة من الباب) لانتس أن تجلس لاخذ زوجتك يا كلستش .

كلستش : لن أنسى :

فاسيلي : لماذا هي قاسية معي هذه القسوة ؟ ... إنها تهملني -- ولكنها ستفقد هنا لا محالة .

بوينوف : نعم ، تفقد .. وأنت الذي ستفقدوها .

فاسيلي : ولماذا أنا ؟ إنني أشعر بالآسى من أجلها .

بوينوف : مثلنا يشعر الذئب بالآسى من أجل الحمل .

فاسيلي : هذا كذب ، إنني شديد الآسى من أجلها حقاً ، فهي تقاسى هنا كثيراً وهذا واضح

كلستش : انتظر حتى تضبطك فاسيليا تحدث معها .

بوينوف : فاسيليا ؟ إنها لا تفرط لأحد في ممتلكاتها .

فاسيلي : (يسألني على الفراش) لتذهبوا إلى الجحيم .. كلا كما .. والآنبياء كذلك .

كلستش : سوف ينتقم الله منك ... انتظر .

لوقا : (يغني في المطبخ) : في ظلام الليل لن تستطيع الاهتداء الى الطريق المستقيم .

كلستش : أنصتوا الى هذا العواء .. ساكن جديد ! هه ! (يخرج إلى الردهة)

فاسيلي : يا الله - لقد ملكت الحياة كلها .. ما الذي يجعلني أشعر بالملل ؟ إن

الإنسان ليعيش أيامه في حبور .. وفجأة وكن يصاب بالزكام إذا

به قد مل كل شيء .

بوينوف : مال ؟ هه .

فاسيلي : حتى أذني .

لوقا (يقنى فى المطبخ) : لا ياسيدى لن تستطيع الالهـنداء الى الطريق
المستقيم —

فاسيلى : أنت أيها الرجل العجوز !

لوقا (يطل برأسه من باب المطبخ) : هل تخاطبنى ؟

فاسيلى : نعم أنت .. كف عن الغناء .

لوقا (يدخل) : ألا تحب الغناء ؟

فاسيلى : أحبه .. حينما يكون جميلا .

لوقا : إذن فغنائى قبيح ؟

فاسيلى : يبدو أن الامر كذلك .

لوقا : تصوروا ! لقد كنت أظن أنى أحسن الغناء .. إن هذا يحدث كثيرا .

يقول الرجل لنفسه : إنى أقوم بعمل حسن .. وفجأة إذا به يجسد
الجميع غاضبين .

فاسيلى (ضاحكا) : هذا حق .

بوينوف : لقد كنت تقول إنك ملكت الحياة ، وهانت ذا تقهقه .

فاسيلى : وما دخلك أنت فى هذا أيها الغراب المزعج ؟

لوقا : من هو الذى من الحياة هنا ؟

فاسيلى : أنا . (يدخل البارون)

لوقا : تصور هذا ! هناك في المطبخ فتاة جالسة وهي تقرأ في كتاب وتبكي ... نعم تبكي ! والدموع تنهمر من عينيها - فسألتها : لماذا تبكين يا عزيزتي ؟ ، أجابتني : ، إنني أشعر بألم شديد من أجله فلما سألتها : من هو ؟ ، أجابتني وهي تتحبب : ، إنه هذا الرجل بطل القصة التي أقرأها ، ، إن بعض الناس يبحثون عن أشياء غريبة يضايقون بها أنفسهم . أليس كذلك ؟ ولعل ذلك راجع إلى الملل أيضا .

البارون : هذه الفتاة ... إنها بلهاء ..

فاسيلي : هل شربت شايًا يا بارون ؟

البارون : نعم ... هه ؟

فاسيلي : هل ترغب في أن أدعوك إلى شرب نصف زجاجة من الخمر ؟

البارون : بالتأكيد أرغب ... هه .

فاسيلي : لترقع إذن على أربع ولتنبح مثل الكلب .

البارون : أيها المغفل ! من أنت ؟ تاجر ثرى أم سكير ؟

فاسيلي : أوه - هيا انبح قليلا .. إن هذا سيسرى عنى فأنت واحد من

ذوى الرفعة الأقوياء - ولقد مر عليك وقت كنت تنظر فيه إلى العامة من أمثالي وكأنهم ليسوا بشرا ... إلى آخر تلك الأمور .

البارون : وبعد ؟

فاسيلي : سأجعلك اليوم تنبح مثل الكلاب .. إنك ستنببح .. أنت تعلم أنك ستفعل .

البارون : حسنا — سأفعل أيها الغبي ! ولكن أى نوع من السرور ستخرج به أنت من ذلك — إذا كنت أنا أعلم جيدا أنني أصبحت فى حالة يرئى لها ، إن لم أكن قد أصبحت أسوأ منك حالا .. كان الأجدر بك أن تحاول جعلى أسير على أربع عندما كنت أرفع منك .

بوينوف : هذا حق .

لوقا : وحسن أيضا إن أردتم رأيى .

بوينوف : ماضى قد انتهى — والذي بقى لا يستحق مجرد الحديث عنه .. فليس لدينا اليوم رجال ذوو رفعة وقوة .. كل شيء قد انتهى . كل شيء .. ولم يبق سوى الإنسان عاريا كما ولدته أمه .

لوقا : ولذلك فالجميع سواء .. هل كنت د بارون ، حقا أيها الصديق ؟

البارون : ما هذا ! من أنت أيها الجنى العجوز ؟

لوقا : لقد قابلت أميرا و د كونت ، أيضا — ولكن هذه هى المرة الأولى التى التقي فيها د بيارون ، .. و د بارون ، محطما أيضا .

فاسيلي (يضحك) : هل تعلم يا بارون أنك جعلتني أخجل من نفسي ؟

البارون : هذه هى أول مرة تبدى فيها ذكاء يا فاسيلي .

لوقا : ها ها ! مجرد النظر اليكم يا أصدقائي الطيبين يوحى بنوع الحياة التى —

بوينوف : إننا نستقيظ كل صباح على عواء .

البارون : ولكن كانت لى أيام خير من . هذه لقد . مرت بى أيام كنت

استقيظ في الصباح لأشرب القهوة في السرير .. أى نعم ، قهوة بالقشدة .

لوقا : ومع ذلك فكلكم بشر .. نعم .. ارتد أغر الملابس وأغلاها .. واضرب في الأرض من أقصاها إلى أقصاها - ولكنك في النهاية ستموت إنسانا كما ولدت إنسانا .. إنني كلما نظرت وجدت الناس يزدادون ذكاء ونشاطا ، ولكنهم يعيشون مع ذلك عيشة بائسة ، ويرجون أن تتحسن أحوالهم . قوم عنيدون !

البارون : من أنت أيها العجوز ؟ .. من أين أتيت ؟

لوقا : من ... أنا ؟

البارون : هل أنت حاج ؟

لوقا : كلنا حجاج على هذه الأرض ... بل لقد سمعت من يزعم أن الأرض نفسها تخرج في هذا الكون ..

البارون (جادا) : قد يكون هذا صحيحا ... ولكن هل معك جواز سفر ؟

لوقا : ومن أنت ؟ .. بوليس سرى ؟

فاسيلي (مسرورا) : لقد سخر منك العجوز يا بارون ؟

بوبنوف : نعم إن هذا السيد قد رمى أقاصبا .

البارون (خجلا) : ما كل هذا ؟ لقد كنت أمزح فقط أيها العجوز .. فأنا نفسي ليس لدى جواز سفر - ولا حتى أوراق تثبت شخصيتي ..

بوبنوف : كذاب -

البارون : حسنا - لدى أوراق ولكنها قديمة لا فائدة منها .

لوقا : كل الأوراق مثل أوراقك ... لا فائدة منها .

فاسيلي : هيا بنا يا بارون نشرب بعض الخمر .

البارون : هيا بنا — إلى اللقاء أيها العجوز إنك مجرم أنت الآخر .

لوقا : كل شيء جائز أيها الصديق .

فاسيلي (على باب الصالة) : حسنا — تعال .

(يخرج فاسيلي ويسرع البارون خلفه)

لوقا : هل كان بارونا حقا ؟

بوينوف : لا أعلم .. ولكنك أرستقراطي الشئمة لا ريب — فهو حتى الآن يتصرف أحيانا بشيء كثير من العظمة . يبدو أن أرستقراطيته لم تمح تماما .

لوقا : قد تكون هذه الارستقراطية مثل الجدرى ... يشفى المصاب به ولكنه تبقى آثاره في وجهه .

بوينوف : ولكنه ليس شيء الأخلاق .. وإن كان يتصرف أحيانا ببعض العنجهية مثلما فعل اليوم حينما سألك عن جواز سفرك .

(يدخل أليوشكا مخمورا - يحمل د أ كورد يون ، ويصفر وهو يتقدم)

أليوشكا : أيها السكان —

بوينوف : لماذا تصيح هكذا ؟

أليوشكا : لا تؤاخذني .. سامحني ، إني رجل مؤدب —

بوبنوف : هل تشاجرت مرة ثانية ؟

أليوشكا : وهل فى وسعى غير ذلك ؟ منذ دقيقة واحدة طردنى الضابط ميد ياكين من قسم البوليس وقال لى : إياك أن تدعى أعثر لك على أثر فى الطرقات بعد اليوم اءءء وأنا رجل لى شخصيى ولكن رئيسى فى العمل يصبق على وجهى وكأنى قطة ضالة.. وأى رئيس هو ؟ بف إنه سكير ، نعم إن رئيسى سكير ، وأنا رجل لا أريد شيئا ، نعم أنا لا أريد شيئا .. تستطيع أن ترضينى بروبل وعشرين كوبكا .. ولكنى لا أريد شيئا أعطنى مليونا .. تجدنى لا أحتاج إليه .. ولكن أن يسمح لزميلى السكير فى العمل بأن يصدر إلى الأوامر — فهذا ما لا أقبله .. لا أقبله أبدا .

(تظهر ناستيا على باب المطبخ وتهز رأسها وهى تراقب أليوشكا) .

لوقا (مازحا) : لقد أوقعت نفسك فى مأزق أيها الشاب .

بوبنوف : مجرد حماقة من حماقات البشر .

أليوشكا (يمدد جسمه على الأرض) : أنا لا أهتم بشيء ولا أريد شيئا .. أنا إنسان محطم ، اشرحوا لى لماذا أنا أسوأ حالا من بقية الناس . ومن هم هؤلاء الناس ؟ لقد قال لى الضابط ميد ياكين : وابتعد عن الشوارع وإلا قتلتك .. ولكنى لن ابتعد وسأخرج . سأتمدد فى وسط الشارع .. وليدوسونى إذا شاءوا — فأنا لا أريد شيئا ..

ناستيا : ياله من مسكين اءء لا يزال شابا صغيرا ومع ذلك فقد جعل من نفسه أضحوكة .

أليوشكا : (يلاحظ ناستيا فيقوم على ركبتيه ويتحدث بالفرنسية) : يامدموازيل
هل تتحدثين بالفرنسية ! (Parlez Français) برى فيكس !
إنى أدهن المدينة باللون الأحمر ..

ناستيا : (بصوت مرتفع) : فاسيليا . (تفتح فاسيليا باب الصلاة على
مصراعية وتدخل)

فاسيليا : (موجهة الحديث إلى أليوشكا) : أنت هنا مرة أخرى ؟

أليوشكا : أسعدت صباحا .. هلا تفضلت بالدخول ؟

فاسيليا : لقد قلت لك أيها الكلب ألا ترينا وجهك ، ألم أقل لك ؟ ومع
ذلك فأنت هنا مرة أخرى ؟

أليوشكا : فاسيليا كاربوفنا - سأعزف لك لحنا جنائزيا . هل تسمحين ؟

فاسيليا : (تدفعه في كتفه) : اخرج من هنا .

أليوشكا : (يتحرك أمامها ناحية الباب) : انتظري هذا لا يصح ..

سأعزف لك لحنا جنائزيا تعلمته منذ قليل . موسيقى حديثة ..

انتظري - هذا لا يصح !

فاسيليا : سأريك ما الذى لا يصح - سأجعل سكان الشارع كلهم يطارودك

أيها الثرثار القذر .. إنك اصغر من أن تظل تمنح بالحديث عنى

فى كل مكان .

أليوشكا : حسنا . أنا خارج (يخرج مسرعا)

فاسيليا : لا تسمح له بوضع قدمه هنا مرة ثانية .. أسمع أنت ؟

بونوف : لست بوابا عندك .

فاسيليا : لا يهمني من تكون... إنك تعيش هنا على إحسانى فتذكر ذلك.
كم ديونى عليك ؟

بورنوف (بهدوء) : لم أحصها .

فاسيليا : حسنا . احترس وإلا فسوف أحصيها أنا . (يفتح أليوشكا الباب)
أليوشكا (صائحا) : فاسيليا كاربوفنا .. أنا لا أخافك . أنا لا أخافك كما
تصورين (يسلل إلى داخل المطبخ . لوقا يضحك)

فاسيليا : من أنت ؟

لوقا : حاج .

فاسيليا : أريد أن تبتي الليلة فقط أم ستقيم طويلا ؟

لوقا : هذا يتوقف على —

فاسيليا : أين جواز سفرك ؟

لوقا : سترينه .

فاسيليا : أريد رؤيته الآن .

لوقا : سأحضره لك . سأحضره إلى باب مسكنك .

فاسيليا : اه ، حاج لا يبدو عليك أنك حاج .. كان الأجدر بك أن
تسمى نفسك متشردا . فهذا أقرب إلى الواقع .

لوقا (متهدأ) : إن قلبك خال من الطيبة أيها المرأة .

(توجه فاسيليا ناحية حجرة فاسيلي . يطل أليوشكا برأسه من المطبخ)

أليوشكا (هامسا) : هل ذهبت ؟

فاسيليا : (تعود إليه) : ألا تزال هنا ؟

(يحتفي أليوشكا وهو يصفر .. لوقا وناستيا يضحكان) .

بوبنوف : (لفاسيليا) : لقد خرج .

فاسيليا : من هو ؟ عن تحدث ؟

بوبنوف : فاسيلي .

فاسيليا : وهل سألتك عنه ؟

بوبنوف : إن أراك تبحثين في كل مكان .

فاسيليا : إن أنظر هل كل شيء في مكانه أو لا - فاهم ؟ هل فهمت الآن ؟ لماذا

لم تكلسوا الأرض حتى هذه الساعة ؟ كم مرة أمرتكم بأن تحافظوا
على نظافة المكان ؟

بوبنوف : إن الدور على الممثل .

فاسيليا : لا يهمني ، ولكن إذا جاء مفتش الصحة وغرمني فسوف أطردكم
جميعا أيها الملاحين .

بوبنوف : (بهذوء) : وكيف ستعيشين إذن ؟

فاسيليا : لا أريد أن أرى بعد الآن ذرة تراب واحدة .. (تسير ناحية

المطبخ وتقف أمام ناستيا) ماذا تفعلين بوجهك المتورم هنا ؟ ..

لا تبقى هكذا مثل جذع الشجرة ، اكلسي الأرض ، هل

رأيت ناتاشا ، هل جاءت إلى هنا ؟

ناستيا : لا أدري ، لم أرها .

فاسيليا : بوبنوف .. هل كانت أختي هنا ؟

بنوف (مشيرا إلى لوقا) : لقد جاءت به ..

فاسيليا : والآخر ، هل كان هنا ؟

بوينوف : فاسيلي ؟ نعم كان موجودا ، وأختك قد تحدثت إلى كلستش —

فاسيليا : لم أسألك عن تحدثت إليهم . قدارة في كل مكان أيها الخنازير !
يجب ان تنظفوا هذا المكان .. هل تفهمون ؟ (تخرج بسرعة) .

بوينوف : يا الهى ! يالها من امرأة شريرة !

لوقا : امرأة مشتعلة .

ناستيا : كل إنسان يحيا حياتها ويعاشر زوجا مثل زوجها يصبح شريرا .

بوينوف : إنها لا تعاشره كثيرا على أى حال !

لوقا : هل تتصرف هكذا دائما ؟

بوينوف : دائما .. لقد حضرت لرى عشيقها ، ولكنه غير موجود

كما ترى .

لوقا : فتأملت . آه فهمت . هيه ! أناس مختلفون يأمرن غيرهم في

هذه الدنيا ، وكل جماعة تحاول أن تنسب إلى غيرها جميع ألوان

العيوب - ومع ذلك فلا يوجد نظام في الحياة .. ولا نظافة .

بوينوف : كل الناس يريدون النظام - ولكن عقولهم ذاتها غير منظمة - على

كل حال يجب أن يقيم واحد بكس الأرض .. . ناستيا

عليك أنت بهذا .

ناستيا : طبعا ومن غيرى ! .. أنا لست خادمتك هنا .. (بعد لحظة

صمت) إني سأسكر اليوم .. سأسكر غاية السكر .

بوينوف : هذه فكرة طيبة .

لوقا : لماذا تريد أن تسكرى يا صغيرتى ؟ منذ لحظة كنت تبكين -
والآن تقولين أنك ستسكين .

ناستيا (بشىء من التحدى) : وحينما أسكر سأبكي مرة أخرى - هذا كل ما فى الأمر .

بوينوف : كل ما فى الأمر - ما أبسط ذلك !

لوقا : ولكن خبرين ما سبب هذا ؟ فحتى الدمل الصغير لا يظهر بدون سبب . (ناستيا تهز رأسها دون أن تجيب) حسنا إيه أيها البشر !
إلى أين أنتم مسيرون ؟ حسنا ، سأكلس لكم المكان إذن ..
أين مكلمستكم ؟

بوينوف : خلف الباب فى الردهة الخارجية (لوقا يذهب إلى الردهة) ناستيا !
ناستيا : ماذا تريد ؟

بوينوف : لماذا ثارت فاسيليا على أليوشكا ؟

ناستيا : لأنه قال للجميع إن فاسيلي قد ملها ويريد هجرها من أجل ناتاشا ... إلى سأتقل من هذا المكان إلى مسكن آخر .

بوينوف : لماذا ؟ وإلى أين ؟

ناستيا : لقد ملكت .. لا أحد يحتاج إلى هنا .

بوينوف (بهدوء) : لا هنا ، ولا فى أى مكان .. وكل الناس فى الواقع لا يوجد من يحتاج إليهم .

(تهز ناستيا رأسها وتنفض خارجة إلى الردهة - يدخل مدفدوف

الشرطى وخلفه لوقا حاملا مكلسة .

مدفديف : لا أظن أنى أعرفك !

لوقا : وهل تعرف كل الناس ؟

مدفديف : المفروض أنى أعرف كل شخص فى منطقى .. ولكنى لأعرفك .

لوقا : وذلك لأن السكرة الأرضية لم يمكنها ضغط نفسها داخل منطقتك

ياعم . لقد بقى جزء صغير منها خارج منطقتك ! (يذهب

إلى المطبخ .)

مدفديف (سائرا إلى بوبنوف) : إنه على حق .. فنطقى صغيرة ولو أنها

أسوأ من أكبر منطقة .. منذ قليل وقبل أن انتهى من الدورية

أخذت الاسكانى أليوشكا إلى القسم - فقد استلقى فى وسط

الشارع وأخذ يعزف على « الأكورديون » ، وهو يصيح : « أنا

لا أريد شيئا .. لا أريد شيئا .. » وكان من المحتمل أن تقضى

عليه الخيل وغيرها من وسائل النقل ، فقد كان الشارع مزدحما بها

إنه متوحش .. فقدته إلى القسم لأنه مغرم بالخروج على النظام .

بوبنوف : هل ستأتى للعب الورق الليلة ؟

مدفديف : أنا .. نعم .. كيف حال فاسيلى ؟

بوبنوف : بخير .. كما هو .

مدفديف : إذن فهو لا يزال ماضيا فى سبيله .

بوبنوف : ولم لا ؟ .. إنه قادر على هذا .

مدفديف (بشك) : قادر ! (يدخل لوقا حاملا مكلسة ويخترق الحجرة متجها .

إلى الردهة) نعم .. لقد انتشرت شائعات عن فاسيل هنا ..
هل سمعتها ؟

يوبنوف : إني أسمع كل أنواع الشائعات .

مدفديف : عنه وعن فاسيليا - هل لاحظت شيئا ؟

يوبنوف : لاحظت ماذا ؟

مدفديف : على العموم - أم يحتمل أنك تعلم ولكنك تكذب على .. فالجميع
يعلمون .. (بعنف) يجب على المرء ألا يكذب مطلقا يا صديقي .

يوبنوف : ولماذا أكذب ؟

مدفديف : إذن فنحن متفاهمان .. أوه - ذلك القذر .. إنهم يقولون إن
هناك علاقة بينه وبين فاسيليا - ما شأني أنا بذلك ؟ أنا لست
أبأها - ولكني عمها فقط - فلماذا يسخرون مني ؟

(تدخل كفاشنيا) الله وحده يعلم ماذا يفعل الناس - إنهم
يسخرون من كل شيء - آه ! هذا أنت !

كفاشنيا : نعم أنا ياسترقي الرسمية الثمينة ! يوبنوف ، لقد عاد إلى إغرائي في
السوق على الزواج منه .

يوبنوف : ولم لا ؟ تزوجيه فإن لديه بعض المال وهو لا يزال يصلح للقيام
بدور العاشق .

مدفديف : أنا .. هو ! هو !

كفاشنيا : هكذا ؟ ! لا تلمس نقطة الضعف في أيها الشرطي .. فقد جربت
ذلك من قبل يا رجلي العزيز .. إن الزواج مشل الفنز من جحر من

من الثلج في وسط الشتاء .. تفعله مرة - وتظل تذكره
بقية حياتك .

مدفديف : مهلا - فليس جميع الأزواج سواء .
كفاشنيا : ولكني أنا لم أتغير - حينما مات زوجي العزيز - أجمعه الله -
سررت كل السرور من بقاء وحدي طول النهار، ولم أستطع أن
أصدق حظي السعيد .

مدفديف : مادام زوجك كان يضربك بدون سبب معقول - كان عليك أن
تشكيه للبوليس .

كفاشنيا : لقد ظلمات أشكوه إلى الله ثمانى سنوات دون فائدة .

مدفديف : إن ضرب الزوجة ممنوع الآن - فقد صدرت قوانين وأنظمة
جديدة لكل شيء ... لا يستطيع إنسان أن يضرب آخر دون
سبب معقول .. وإذا حدث واعتديت على إنسان فيلبنفى أن
يكون ذلك للمحافظة على النظام .

(يدخل لوقا يقود آنا)

لوقا : ها نحن قد وصلنا .. ألا تعلين أنه لا ينبغى أن تسير وحدك وأنت
بهذا التكوين الضعيف ؟ .. أين فراشك ؟

آنا (تشير إلى سريرها) : شكرا لك أيها الجدة !

كفاشنيا : هاهى ذى امرأة متزوجة . انظر إليها .

لوقا : إن هذه المرأة الصغيرة فى غاية الضعف .. لقد كانت تسير فى
الردهة متشبثة بالجدران وهى تنن . لماذا تركونها تسير وحدها ؟

كفاشنيا : هذا إهمال منا ياسيدى ، أرجوك أن تسامحنا .. أما وصيفتها فلا بد أنها خرجت للنزهة .

لوقا : إناك تهزئين - إناي لأعجب لماذا يسخر الناس من بعضهم ؟ إن أى شخص مهمل ساءت حاله يستحق شيئاً من الاحترام .

مدفديف : نعم ينبغي أن نهم به .. لأنه إذا مات فستعقد الامور .. ينبغي أن نهم به .

لوقا : لقد نطق صواباً أيها الشاويش .

مدفديف : نعم .. ولو أنى لست شاويشاً بعد -

لوقا : لست شاويشاً بعد ! إناك تبدو كبطل من الإبطال .

(ترتفع ضجة ووقع أقدام فى الردهة ، وتسمع أصوات مختلفة وصيحات)

مدفديف : لا بد أنها مشاجرة ؟

بوبنوف : يبدو أن الامر كذلك .

كفاشنيا : سأرى ما هناك .

مدفديف : يجب أن أذهب أنا كذلك فالواجب هو الواجب ؟ . إناي أتمنى حينما

يبدأ الناس فى الشجار أن يتركهم من حولهم وشأنهم ، فهم سيكفون

عن القتال عندما يتعبون .. يجب أن نتركهم ليصرعوا أنفسهم دون

تدخل لأنهم يستحقون ذلك .. عندئذ سيفكرون أكثر من مرة قبل

أن يتشاجروا ثانية ، لأنهم سيذكرون إصابتهم فى المرة السابقة .

بوبنوف (ينهض من سريره) : يجب أن تقول ذلك لقومندان البوليس .

(يفتح الباب على مصراعيه بعنف ويظهر كستيلوف على العتبة)

كستليوف (صائحاً) : مدفديف .. أسرع فان فاسيليا تقتل ناتاشا . أسرع !

(يسرع مدفديف وبوبنوف وكفاشتيا إلى الردهة . لوقا ينظر اليهم
هنا رأسه)

آنا . يارب ! .. منكينة ناتاشا الصغيرة .

لوقا . من الذى يقتل فى الخارج ؟

آنا . صاحبة المنزل مع شقيقتها .

لوقا (ينجه ناحية آنا) : ولماذا تتشاجران ؟

آنا . وماذا يمكنها أن تفعل أن غير هذا ؟ — إنها تأكلان جيداً وصحتهما

جيدة —

لوقا . ما اسمك ؟

آنا . آنا .. هل تعلم أثنى حينما أنظر اليك أتذكر والدى فقد كان مثلك

طيباً ورقيقاً .

لوقا . نعم ، لقد عصرتنى الأيام ولهذا أبدو رقيقاً . (يضحك ضحكة

ضعيفة أشبه بالسعال) .

« ستار »

الفصل الثانى

[نفس القبو .. ساتن والبارون وجويتر والتترى جالسون على السرير المجاور للفرن يلعبون الورق ، بينما كلستش و الممثل يرقبانهم .
بوينوف جالسا على فراشه يلعب مدفديف الشطرنج، بينما يجلس لوقا على مقعد صغير بجوار فراش آنا .
الوقت مساء والمكان مضاء بمصباحين أحدهما معلق فى الحائط فوق لاعبي الورق، والآخر فوق فراش بوينوف .]

التترى : سأ لعب دوراً آخر فقط ..
بوينوف : غن يا جويتر (منشدآ) الشمس تشرق ثم تغرب —
جويتر (مكملآ) : وزناتى مظهره لا تعرف الضوء —
التترى (لساتن) : اخلط الورق بعناية ! فأنا أعرفك جيدآ .
بوينوف وجويتر (ينشدان معا) : والحراس يراقبون نافذتى الحديدية ..
إيه .. الحراس يراقبون نافذتى طوال الليل والنهار .
آنا : مشاجرات وألفاظ نابية . هذا هو كل ما عرفته طوال حياتى ..
ولا شيء غير هذا ..

لوقا : انسى كل هذا ياسيدتى الطيبة ولا تضايقي نفسك .
مدفديف : إلى أين أنت ذاهب بهذا العسكري ؟ هل أنت أعمى ؟
بوينوف : آه .. آه !

التري (مهدداً ساتن بقبضة يده) : لماذا تحاول إخفاء هذه الورقة؟ ..
إني أراها .. أوه !

جويتر : لاتضايق نفسك يا حسن فسوف يستولون على كل مامعنا
بطريقة أو بأخرى اغن يا بوبنوف .

آنا : أنا لا أتذكر يوماً لم أشعر فيه بالجوع .. كان على دائماً أن
أحصى اللقيحات - وظللت طوال حياتي أرتعد وأضطرب
لمجرد احتمال أن أكون أكلت أكثر من نصيبي .. لم ألبس في
حياتي كلها سوى أسمال بالية .. حياتي التعسة البائسة : ماذا
فعلت حتى أستحق كل هذا ؟

لوقا : إنك محطمة يا بنيتي المسكينة . هوني عليك .

الممثل (لجويتر) : ارم الجوكر .. الجوكر ياغبى .

البارون : ونحن معنا الشايب .

كلستش : لإنهم يغلبونك دائماً .

ساتن : إنها عاداتنا .

مدفديف : شايب !

بوبنوف : ومعى آخر .. حسنا .

آنا : إننى أموت الآن .

كلستش : أوه .. أوه .. كفف عن اللعب يا حسن ، خذ نقوداً منى
وكفف عن اللعب .

الممثل : إنه لا يستطيع التصرف دون نصحك ، أليس كذلك ؟

البارون : احترس يا كلستش ، وإلا قذفت بك إلى الجحيم !
التترى : وزع الورق مرة أخرى . جئت أصطاد ولكنى وقعت في الشراك !
(يذهب كلستش إلى بونوف هازأ رأسه)

آنا : إني أظن أفكر إذا كان الله سيعذبني في الآخرة أيضا ؟ .. حتى
هناك يارب !

لوقا : لن يعذبك .. لا تخافى لن يحدث لك شيء ، فستجدين هناك
قسطا كافيا من الراحة .. فقط اصبرى وتحملى قليلا .. فكل
إنسان يستطيع أن يتحمل حياته بطريقته الخاصة .

(ينهض ويسير مسرعا نحو المطبخ)

بونوف (يغنى) : أتم أيها الحراس تستطيعون مراقبة نافذتى عن قرب .
جويتير (يغنى مكلا) : فلن أحاول الحرب .
بونوف وجويتير (معا) : فأنا وإن كنت أحب أن أنال حريقى .. إيه ،
واسكنى لا أقوى على تحطيم أغلالى .

التترى (صائحا) : آه .. إني أراك لقد أخفيت ورقة فى كك .

البارون (مضطربا) : وأين تريدنى أن أخفيها .. تحت أنفك ؟
الممثل : أنت مخطئ . أيها التترى - فليس هنا من يحاول الغش .. أبدا .

التترى : ياوغد .. لقد رأيته .. ولن أستمع فى اللعب .

ساتن (يجمع الورق) : إبتعد عنا أيها التترى .. ألم تكن تعلم أننا
أوغاد ؟ فلماذا اشتركت معنا فى اللعب ؟

البارون : لقد خسرت ربع روبل ولكنك أزهجتنا بما يساوى ثلاثة

روبيلات .. آه .

التترى (متحمسا) : يجب أن تلعبوا بأمانة .

ساتن : لماذا ؟

التترى : ماذا تعنى ؟

ساتن : لا أهنى إلا ماقلتة .. لماذا يجب أن نلعب بأمانة ؟

التترى : ألا تعلم لماذا ؟

ساتن : أنا .. لا .. هل تعلم أنت ؟

(يصدق التترى باحتقار شديد بينما يضحك الآخرون منه .)

جويتر (مازحا) : يالك من إنسان مضحك أيها التترى .. ألا تفهم

لأنهم لو بدأوا يعيشون بشرف وأمانه فسيموتون من الجوع بعد ثلاثة أيام .

التترى : ليس هذا من شأنى .. يجب على الناس أن يكونوا أمانا .

جويتر : ها هو ذا يعود ثانية .. مثل البيغساء .. يحسن بنا أن نذهب

لتناول الشاى يا بوبنوف ! (مغنيا) إيه أيتها الأغلال .. أيتها

الأغلال الثقيلة التى تقيدنى -

بوبنوف (يغنى) : أنت فى الواقع حارسى الحديدى .

جويتر : هيا بنا ياتترى (يخرج وقد عاد إلى الغناء) أنا أعلم أنى لن

أستطيع تحطيمك أبدا أيتها الأغلال .. إيه .

(يلوح التترى بقبضته للبارون ثم يتبع صديقه .)

ساتن (للبارون) : يا صاحب السعادة لقد كنت الليلة غاية فى الحق .

إنك متعلم ومع ذلك لا تعرف كيف تتقن الغش في لعب الورق.
البارون (يتمطى) : الشيطان وحده يعلم لماذا فشلت .
الممثل : لأنك تنهضك الموهبة والثقة بالنفس . . فبدونها لا يستطيع
الإنسان فعل أى شيء .

مدفديف : بقى لدى حصان واحد .. وأنت معك اثنان .. هيه !
بوبنوف : إن واحداً يكفى إذا كان ماهراً وذكياً .. دورك .
كاستش : لقد خسرت يا مدفديف .

مدفديف : لا تتدخل فيما لا يعنك .. هل تفهم ؟ إمسك لسانك .
ساتن : صافى المكسب ثلاثة وخمسون كوبك .
الممثل : ثلاثة من نصيبي .. ومع ذلك فماذا سأفعل بها ؟

(يدخل لوقا من المطبخ)

لوقا . حسناً - لقد سلّمت التترى كل نقوده .. وستذهبون الآن لشرب
بعض الفودكا على ما أظن .

البارون . تعال معنا .
ساتن . أحب أن أرى أى نوع من الرجال أنت حينها تسكر .
لوقا . لا أكون خيراً منى وأنا فى وعي .
الممثل . تعال أيها الجدة أنشد لك بعض القصائد .
لوقا . ماذا تعنى ؟

الممثل . قصائد .. ألا تعرف القصائد ؟

لوقا : آه ، قصائد .. وما حاجتى إلى الشعر ؟
الممثل : إنه يضحك الإنسان .. وأحياناً يحزنه .
ساتن : هل ستأتى أيها الراوية ؟ (يخرج ساتن والبارون)
الممثل : لحظة واحدة .. سألحق بكما .. هاك أيها الجد بعض الشعر ..
لقد نسيت كيف يبدأ .. لقد نسيت (يحك جبهته) .
يوبنوف : هاك ا... وداعاً لك . وكش ، ...

مدفديف : يا للشيطان لقد أخطأت فى اللعبة الماضية .
الممثل : لقد كانت لدى ذاكرة قوية فى الماضى قبل أن يتسهم جسمى
بالكحول أيها العجوز .. أما الآن فقد انتهت .. انتهت ..
لقد كنت ألقى هذه المقطوعة لإلقاء رائعاً حتى أن الجمهور كان
يصفق تصفيقاً يكاد يهدم المسرح .. أنت لا تعرف التصفيق ، إنه
مثل الفودكا يا صديقى .. كنت أدخل المسرح ثم أقف هكذا
(يتخذ وضعا تمثلياً) نعم كنت أقف هكذا (فترة صمت
طويلة) لا أستطيع أن أتذكر شيئاً - ولا كلمة واحدة مع أنها
أحب قصيدة إلى نفسى - هذا سىء أيها العجوز . أليس كذلك ؟
لوقا : بالطبع .. فلا يمكن أن يكون نسيانك لما تحبه شيئاً جميلاً .. فكل
أرواحنا مركزة فيما نحبه .

الممثل : لقد أغرقت روحى فى الخمر أيها العجوز .. لقد ضعت .. ولماذا ؟
لأنه لا ثقة لى فى نفسى .. لقد انتهت .
لوقا : انتهت ؟ لماذا ؟ .. يجب أن تعالج نفسك .. لقد سمعت أنهم

يعالجون مدمنى الخمر هذه الأيام، ويعالجونهم مجاناً كذلك.. فهناك مستشفى خاص بدمنى الخمر يعالجون فيه دون مقابل.. فلقد اهتموا أخيراً إلى أن السكير إنسان كبقية الناس - بل إنهم يسرون حينما يرونه راغباً في الشفاء.. إنها فرصة أمامك فلا تتركها. اذهب إلى هناك فوراً.

الممثل

(مفكراً) . اذهب إلى أين ؟ .. أين هذا المستشفى ؟

لوقا

: إنه في إحدى المدن .. ترى ما اسمها ؟ إنها تسمى .. حسناً سأعطيك اسمها فيما بعد ! وفي هذه الأثناء عليك أن تعهد نفسك للعلاج .. ابتعد عن الفودكا .. تماسك واحتمل ! وبعد ذلك ستشفى وتبدأ حياتك من جديد .. نعم من جديد . أليس هذا بديعاً يا صديقى ؟ .. حسناً، استقر على رأى وبسرعة ! (مبتسماً) : من جديد .. من البداية .. ما أروع ذلك .. نعم، نعم مرة ثانية (يضحك) طبعاً في إمكانى أن أفعل ذلك بكل تأكيد .. ألا ترى أنت أنى أستطيع ؟

الممثل

: نعم بلا شك - فى إمكان الإنسان أن يفعل أى شئ - فقط إذا أراد وصمم على تنفيذه .

لوقا

(كمن استيقظ فجأة) : أنت إنسان غريب .. إلى اللقاء (يصفر) إلى اللقاء أيها العجوز . (يخرج)

الممثل

: أيها الجدا

آنا

: ماذا تريدن يا عزيزتى ؟

لوقا

آنا : تحدث إلى .

لوقا (يقترب منها) : حسننا لننتحدث .

(ينظر كلستش حوله ويسير متجها إلى زوجته ويحدق فيها ، ثم يحرك يديه كن يريد أن يقول شيئا) ماذا دهالك يا صديقي ؟
كلستش (في صوت خافت) : لا شيء . (يسير ببطء نحو الردهة ويتوقف لحظات لدى الباب ثم يخرج)

لوقا (بعد أن تتبع كلستش بعينيه) : إن زوجك يجد الأمر صعبا لا يستطيع احتماله .

آنا : إنى أفكر فى أشياء أخرى غيره

لوقا : هل كان يضربك ؟

آنا : وبعد كل هذا لم يكن يضربنى ! إنه هو الذى أمرضى على ما أظن .

بوشوف : لقد كان لزوجتى عشيق .. وكان المجرم بارعا فى لعبة الشطرنج

مدفديف : هيه - ههه .

آنا : تحدث إلى أيها الجد العزيز .. إنى أشعر بألم .

لوقا : لا بأس - إنه ألم ما قبل الموت يا عزيزتى .. لا بأس - لا تفقدى الأمل - ستموتين وعندها ستجدين الأمن والراحة .. فلن يكون فى العالم الآخر شيء تخافينه .. لا شيء على الإطلاق . هناك ستجدين السلام والهدوء .. ولن تجدى ما تفعلينه سوى النوم والراحة .. فالموت يهدى كل شيء . إنه رفيق بنا نحن

البشر . حينما تموتين ستحصلين على الراحة .. هكذا يقول
الناس وهو قول صحيح يا عزيزتي وإلا فأين يمكن للإنسان أن
يجد الراحة في هذا العالم ؟

(يدخل فاسيلي مخموراً بعض الشيء ويظهر عليه
الإضطراب والعبوس ويجلس على سرير خشبي
قريب من الباب ويبقى ساكناً بلا حركة)

آنا : ولكن هل كتب علينا أن نقاسى ونتعذب هناك أيضا ؟

لوقا : لن يكون هناك شيء من هذا ، لا شيء .. صدقيني .. لن
تجدي هناك غير السلام والهدوء .. سوف يطلبونك للشول
أمام الله قائلين : « يارب - هذه عبدتك المطيعة آنا - »

مدفديف (بحدة) : ومن أين لك علم ما سيقال هناك ؟

(ينتبه فاسيلي على صوت مدفديف فيرفع رأسه وينصت .)

لوقا : لا بد أني أعلم ياسيدي الشاويش -

مدفديف (باستسلام) : هذا شأنك على كل حال ، ولو أني لم أصبح
شاويشا بعد .

بوبنوف : لقد ضاع فيلك .

مدفديف : فليذهب إلى الجحيم .

لوقا : حينئذ ينظر الله إليك برفق وحنان ويقول : « أنا أعرف آنا
هذه .. حسنا - نخذوها إلى الجنة وامنحوها الراحة والهدوء -
فأنا أعلم أنها قاست حياة مريرة مضيئة ، وأنها متعبسة .. »

امنحوها الراحة والهدوء . .

آنا (تشهد) : آه يا جدى العزيز - لو كان الأمر حقاً كما تقول !

لو كان فى إمكانى أن أستريح ولا أعود أشعر بشيء .

لوقا : لن تشعري بشيء . : أنا أقول ذلك ويجب أن تصدقنى . يجب

أن تموتى فرحة مستبشرة دون أن يسـاورك أدنى خوف ،

فالموت رفيق بنا رفيق الأم بأطفالها الصغار .

آنا : ولكن أليس من الممكن أن تتحسن صحتى ؟

لوقا (بشيء من السخرية) : ولماذا ؟ هل تريدن آلاماً أخرى ؟

آنا : أريد أن أعيش مدة أخرى يسيرة . . مدة يسيرة فحسب ،

فإذا لم يكن هناك آلام فى العالم الآخر فإنى أستطيع أن

أتحمل الآلام هنا - نعم أستطيع .

لوقا : لن يكون هناك شيء سوى -

فاسيلي (يقوم) : هذا حق . ومن يعلم ؟ فقد يكون باطلا .

آنا (بصوت مدعور) : آه يارب .

لوقا : مرحباً بك أيها الأنيق .

مدفديف : من الذى يصيح ؟

فاسيلي (يتجه إليه) : أنا .. لماذا ؟ .

مدفديف : ليس هناك أى داع لصياحك . هذا هو السبب .. ويجب على

كل فرد أن يتصرف فى هدوء .

فاسيلي : أيها الغبي .. هل تعتبر نفسك عملاً حقيقة . . هاها ! .

لوقا (مخاطبا فاسيلي في صوت منخفض) : أنت هناك .. لا تصح
هكذا ، فهنا امرأة تموت أكاد ألمح تراب القبر يعلو شفيتها..
دعوها .

فاسيلي : يسعدني أن أطيعك أيها الجد ، فأنت شخص لطيف .. بارع
في قض أكاذيب وأساطير طريفة ، وهذا حسن في رأي ..
استمر في كذبك فليس في هذا العالم الملعون سوى القليل
جدا من السرور .

بوبنوف : هل هي تموت حقا ؟

لوقا : لا يبدو عليها أنها تمزح .

بوبنوف : حسنا . فسرتاح من سعالها الذي ظل يزعجنا طويلا ..
أعطني ورقتين .

مدفديف : إن حظك عال اليوم !

فاسيلي : : أبراهام .

مدفديف : لا ترفع الكلفة بيننا وتناديني بهذا الاسم .

فاسيلي : حسنا . أبراشكا .. هل ناثاشا مريضة ؟

مدفديف : ليس هذا من شأنك .

فاسيلي : تكلم .. خبرني هل ضربتها فاسيليا بقسوة ؟

مدفديف : ولا هذا أيضا من شأنك . إنها مسألة هائلة .. ومن أنت

على أية حال ؟

فاسيلي : لا يهم من أكون ولكني أستطيع إذا أردت أن اجعلك لاترى

ناتاشا بعد اليوم .

مدفديف (يكف عن اللعب) : ما هذا ؟ هل تعلم عن تتحدث .. إن ابنه أخى لا يمكن أن تصبح — يا لص .

فاسيلي : قد أكون لصا ، ولكنك لم تقبض على قط .

مدفديف : انتظر وسوف أقبض عليك .. وقريبا .

فاسيلي : إذا قبضت على فيسيكون في ذلك خراب أسرتك كلها هل .. تظن

أنى سأظل صامتا أمام المحقق ؟ . إنك كمن ينتظر حسنة من

الذئب .. من الذى حرضنى على السرقة ؟ ومن الذى عرفنى

بالأما كن ؟ كوستيلوف وزوجته .. من الذى كان يأخذ منى

ما أسرقه ؟ . ميشكا كوستيلوف وزوجته .

مدفديف : كذاب .. لن يصدقك أحد .

فاسيلي : سوف يصدقوننى .. فهذه هى الحقيقة ، وسوف أقحمك أنت

أيضا فى الموضوع .. ها ها .. سوف أدمركم جميعا أيها

المجرمون .. سوف ترى .

مدفديف (مأخوذا) : إنك تكذب . هذا كذب محض .. ومتى تسببت

فى أذاك ؟ . إنك كلب مسعور ينبج .

فاسيلي : ومتى تسببت فى خير لى ؟ .

لوقا : أها -

مدفديف (مخاطبا لوقا) : علام تنعق أيها العجوز .. ليس فى هذا ما

يخصك .. إنها مسألة عائلية .

بوينوف (مخاطبا لوقا) : اتركهم وشأنهم . لأنهم لا يعدون المشاق لك ولى .

لوقا (بجنبت) : أنا أعلم ذلك .. كل ما أقوله هو إن الإنسان متى لم يحسن لأخيه فقد أساء إليه .

مدفديف (دون أن يفهم ما يعنيه لوقا) : هذا أحسن .. نحن هنا يعرف بعضنا بعضا .. فمن أنت ؟ (يصرق كقطعة هائجة ثم ينصرف مسرعا .)

لوقا : لقد فقد السيد أعصابه .. ها ها .. لقد أوقعتم أنفسكم أيها الأصدقاء في شتى أنواع المشاكل .

فاسيلي : لقد ذهب يشكو إلى فاسيلي .

بوينوف : إنك تقوم بدور الأبله يا فاسيلي .. فيم تباهيك بالقوة والشجاعة .. إن الشجاعة لها قيمتها في الغابات حينما تصطاد الخريت .. أما هنا فليس لها قيمة تذكر ، وسوف يشنقونك قريبا .

فاسيلي : أوه .. لا . فأنا من قوم لا يستسلمون بدون قتال ، أما إذا حدث قتال فأنا على اتم الاستعداد له .

لوقا : لماذا لا ترحل من هنا أيها الشاب ؟

فاسيلي : إلى أين هل تستطيع أن ترشدني ؟

لوقا : اذهب إلى سيبريا ؟ .

فاسيلي : سيبريا ؟ .. ولكنى سأنتظر حتى أُرسل إلى هناك على

نفقة الحكومة .

لوقا : اسمع كلامي واذهب إلى سيبيريا ، فهناك ستفتتح أمامك آفاق جديدة ، لأنهم هناك في حاجة إلى أمثالك من الرجال .

فاسيلي : ليست لدى حرية الاختيار . لقد رسمت لي حياقي وانتهى الأمر ، فأني قضى حياته كلها في السجن ، وعلمني أن أكون مثله . ولم أكن إلا طفلا صغيرا عندما كان الجميع ينادوني يا لص يا ابن اللص .

لوقا : ومع ذلك فسيبيريا مكان رائع .. أرض طيبة . وهي أصلح مكان للرجل القوي الذي يحمل فوق أكتافه رأسا ذكيا .

فاسيلي : لماذا تكذب أيها العجوز ؟

لوقا : ماذا تقول ؟

فاسيلي : لقد أصابه الصمم فجأة . إنني أقول لماذا تكذب ؟

لوقا : ومتى رأيتني أكذب ؟

فاسيلي : دائما فأنت تردد في كل وقت ، إنه رائع هنا ، وبديع هناك .

بينما تعلم جيدا أنك تكذب .. لماذا ؟

لوقا : حسنا . اسمع كلامي ، ثم اذهب للتحقق منه بنفسك . وسوف

تشكرني على نصحي إياك . أي خير في إصرارك على الإقامة هنا ؟

وعلى كل حال فما قيمة الحقيقة بالنسبة إليك ؟ إن هذه الحقيقة

قد تهوى على رأسك كالقأس الحاد .

فاسيلي : أنا لا أبالي . إنني أرحب بضربة القأس .

لوقا : يالك من إنسان غريب .. ما الذى يدفعك إلى قتل نفسك؟
بوينوف : أنا لا أفهم فيم كل هذا الحديث السخيف. أى حقيقة تلك التى
تريدها يا فاسيلي؟ ولماذا؟ إنك تعلم حقيقة نفسك وكل
إنسان يعلمها.

فاسيلي : اسكت يا بوينوف لا تنعق . أنا أريده هو أن يخبرنى..
اسمع أيها العجوز ، هل الله موجود؟
لوقا (يتشم ولا يجيب .)

بوينوف : ما أشبه الناس فى الحياة بنشارة الخشب الطافية على النهر ..
لقد تم بناء المنزل أما النشارة فتلقي فى النهر لتهم بنفسها
وتلاقي مصيرها .

فاسيلي : وبعد ، هل الله موجود؟ أجبنى .
لوقا (فى صوت منخفض) . إذا كنت تؤمن به فهو موجود ،
وإذا لم تكن تؤمن به فهو غير موجود .. وكذلك كل ما
تؤمن به فهو موجود .

(فاسيلي حائرا يحدق فى وجه لوقا دون أن يتكلم .)
بوينوف : سأذهب لتناول الشاى ، تعالامعى .
لوقا : لماذا تحدد فى هكذا؟

فاسيلي : هذا حسن .. انتظر .. أنت تقول -
بوينوف : سأذهب وحدى إذن (يسير فى اتجاه الباب بينما تدخل فاسيليا)
فاسيلي : إذن فأنت تريد أن تقول -

فاسيليا (تخاطب بوبنوف) : هل ناستيا موجودة ؟

بوبنوف . لا . (تخرج)

فاسيلي . أوه .. هذا أنت .

فاسيليا (تتجه نحو آنا) : ألا تزالين حيه ؟

لوقا : لا تزال عجيها .

فاسيليا : ألا تزال هنا ؟

لوقا : سأرحل إذا كان هذا يرضيك .

فاسيليا (تسير ناحية حجرة فاسيلي) : أريد أن أحدثك في بعض المسائل

يا فاسيلي (تدخل حجرة فاسيلي بينما يسير لوقا إلى باب الصالة

ويفتحه ثم يغلقه بصوت مسموع ، ويعود بجذر ويتسلق فراشا

ليصل إلى أعلى الفرن) تعال يا فاسيا .

فاسيلي : لا أريد .

فاسيليا (تخرج) : ولماذا لا تريد ؟ .. من الذى أغضبك منى ؟

فاسيلي . لقد مللت .. مللت كل هذه الأشياء .

فاسيليا : مللتنى أيضا ؟

فاسيلي : نعم أنت أيضا (تثبت منديلها الحريري على كتفها وتضغط

بيديها على صدرها ثم تسير إلى فراش آنا وتنظر في هدوء

خلف الستائر ، ثم تعود إلى فاسيلي) فإذا كان لديك ماتريدن

قوله —

فاسيليا : وهلبقى شيء يقال ؟ .. ليس في إمكان المرء أن يرغم

إنسانا على حبه ، وليس من طبيعتي أن أتسول الإحسان من الناس .. إنى أشكرك على مصارحتي بالحقيقة .

فاسيلي : أى حقيقة ؟

فاسيلي : أنك مللتني ، أم أن ذلك غير صحيح ؟ (يحدق فاسيلي فيها دون أن يتكلم .. تقترب هي منه) — إذا تحدق في هكذا ؟ ألا تعرفني ؟

فاسيلي (يتنهد) : ما أجهل منظر ك (تضع فاسيلي يدها حول عنقه ولكنه يتخلص منها بهزة من كتفه) ولكنك مع ذلك إلم تنجحي أبدا في الوصول إلى قلبي .. لقد عاشرتك بالطريقة التي تعرفينها ولكنني لم أهتم بك أبدا اهتماما حقيقيا —

فاسيلي (بصوت خافت) : لقد فهمت - وبعد ؟

فاسيلي : وبعد - لم يبق شيء نقوله - لا شيء على الإطلاق ، فقط اتركيني

فاسيلي : هل وقعت في غرام جديد ؟

فاسيلي : ليس هذا من شأنك .. وإذا كنت قد أحببت حقًا فلن أطلب منك أن تقومي بدور الوسيط .

فاسيلي (متخافتة) : يا خسارة .. قد يكون في إمكانك أن أصلك بمحبوبتك .

فاسيلي (بشك) : من تعين ؟

فاسيلي : أنت أدرى - لماذا تنكر ؟ .. اسمع يا فاسيلي أنا إنسانة صريحة - (بصوت خافت ضعيف) ولن أخفي عنك شيئًا فقد آلمتني كثيرًا ..

فهدون أى سبب ضربتني هذه الضربة القاسمة التي كان لها وقع

السياط في نفسى .. ظلك تحدثنى عن حبك ثم فجأة ..

فاسيلي

: لم يكن فجأة .. لقد كنت أحس ذلك من زمن بعيد ..
أنت امرأة بدون روح يا فاسيليا ، والمرأة يجب أن يكون لها
روح .. إننا معشر الرجال وحوش كاسرة ويجب على المرأة
أن تروضنا وتستأنسنا .. خبرينى بالله أى نوع من الترويض
مارسته معى ؟

فاسيليا

: ما فات قد فات .. أنا أعلم أننا لانستطيع السيطرة على
عواطفنا .. فإذا كنت لم تعد تحبى ، فليكن ، ولنواجه الأمر .
: حسنا .. هذا هو الواقع .. فليمض كل منا فى طريقه بهدوء
دون أى شوشرة ، فهذا هو أفضل حل .

فاسيلي

: لا .. انتظر .. ليس هذا كل ما فى الأمر .. فحينما كنت
أعاشرك كنت أعتمد عليك دائما فى الخلاص من هذا الشرك
الذى أحيا فيه .. فأتحور من زوجى ، ومن عمى ، ومن هذه
الحياة كلها .. من المحتمل أنى لم أحبك أنت ، وإنما كنت أحب
فيك هذا الأمل ، هذا الخاطر الذى كان يلح على فكري . أفاهم
أنت ؟ فقد كنت أنتظر منك أن تخرجنى من هنا ..

فاسيلي

: أنت لست ظفرا ، وأنا لست مقمصا حتى أستطيع فصلك من
هذا المكان ، وإذا كنت قد ظننت نفسى كذلك فى وقت من
الأوقات فإنما كان هذا خلال تفكيرك أنت وتحت تأثير
إيحائك .. إنك فطنة وذكية .. أليس كذلك ؟

فاسيليا (تمنحني مقتربة منه): فاسيا لم لاتعاون ؟

فاسيلي : كيف ؟

فاسيليا (بهدوء وقوة): أنا أعلم أنك تحب أختي .

فاسيلي . ومن أجل هذا تقسين عليها وتواصلين ضربها وإيذاؤها ..

احترسي يا فاسيليا وكفي عن إيذاؤها .

فاسيليا : تمهل ولا تثر هكذا ، ففي إمكاننا أن نسوى الأمر في هدوء

وبطريقة ودية.. أنت تريد الزواج من ناتاشا؟ حسنا تزوجها..

بل إنى سأعطيك بعض المال كذلك - لنقل ثلاثمائة روبل ..

وحينما يتجمع لدى بعض المال أعطيك زيادة .

فاسيلي : (يبتعد عنها) انتظري - لماذا تعطيني هذا المال ؟.. ماهي

الفكرة ؟

فاسيليا : خلصني من زوجي - انتزع هذا الغل من رقبتي .

فاسيلي (يصفر صفيرا خافتا) : هذه هي المسألة إذن .. لقد فهمت الآن

يا لك من ماهرة ، الزوج في أكفائه تحت التراب ، والعاشق

ينفي إلى سيبيريا أما أنت نفسك —

فاسيليا : لا يا فاسيا .. لماذا تنفي الى سيبيريا ؟ . ليس من الضروري

أن تنفذ الأمر بنفسك ، ففي إمكانك استئجار آخرين .. وحتى

إذا فعلتها أنت فمن الذي سيعلم ؟ .. فكر في ناتاشا وفي المبلغ الذي

ستحصل عليه .. تستطيع أن تذهب إلى مكان بعيد بعد أن

تكون حررتي بقية حياتي .. أما أختي فمن مصلحتها أن تبتعد

عنى كذلك .. فمن العسير على أن أراها أمامى لأنى أشعر
بالآلم والمرارة كلما رأيتها، وذلك بسببك أنت، وأنا لا أستطيع
كبح جماح نفسى . إنى اعذبها وأضربها، أضربها ضربا شديدا
حتى لأبكي أنا نفسى رثاء لها، ولكنى استمر فى ضربها مع ذلك،
وسأظل أضربها ..

فاسيلي : أنت شيطان مرید .. تقولين ذلك وكأنما تفخرين .

فاسيليا : أنا لا أفخر - إنى أقول الحقيقة .. فكر يا فاسيلي . لقد سمعنت

مرتين بسبب زوجى، بسبب جشعه .. إنه يمتص دماي مثل
البق الشره .. إنه يفعل ذلك منذ أربع سنوات .. أى زوج
هذا ؟ ثم إنه يعامل ناتاشا بقسوة لا مثيل لها ويعذبها، ويدعوها
بالمسولة .. إنه سم موضوع فى شراب الجميع .

فاسيلي : إن وراء هذا الكلام هدفا بارعا كل البراعة .

فاسيليا : إن قصدى واضح لا يفوت فهمه إلا على غبي .

(يدخل كستيلوف حذرا ويتقدم متلصصا)

فاسيلي (لفاسيليا) : من الأفضل أن تذهبي الآن .

فاسيليا : فكر فى الأمر (وقد لاحظت زوجها) ما الذى جاء بك إلى

هنا ؟ .. هل تبحث عني ؟

(يقفز فاسيلي واقفصا وينظر إلى كستيلوف بخشونة)

كستيلوف . إنه أنا .. نعم أنا .. وأنتما وحيدان هنا ؟ آه لقد كنتما تتحدثان ؟

(تعثر قدمه فجأة ويطس على فاسيليا) أيها الأقدار . (ينظر

إليه فاسيلي وفاسيليا دون أن يتحركا فيبدو عليه الخوف)
فليسأخني الله فقد كدت تدفعيني إلى الشك مرة ثانية يا فاسيليا
لقد بحثت عنك في كل مكان (يتعثر مرة ثانية) أما حان وقت
النوم ؟ .. وأنت قد نسيت وضع الزيت في المصباح أيتها
اللعيثة البائسة . (يتهدد فاسيليا بيديه المرتعشتين فاسيليا تسير
بيطء نحو باب الردهة وهي تنظر خلفها إلى فاسيلي .)

فاسيلي : (لكستليوف) اخرج من هنا !
كستليوف (صائحا) : أنا صاحب هذا المنزل ! اخرج أنت أيها اللص !
فاسيلي : (بهدوء) اخرج يا كستليوف !
كستليوف : أتجروا إلى سا .. سا (يمسك فاسيلي بكستليوف من ياقة
ستارته ويهرزه .. يسمع شخير عال وتناؤب مثل نهيق الحيوانات
آت من أعلى الفرن . يطلق فاسيلي سراح كستليوف الذي
يجرى إلى الردهة صائحا)

فاسيلي (يقفز فوق السرير الخشبي) : من فوق الفرن ؟
لوقا (يطل) : ماذا ؟
فاسيلي : أهذا أنت ؟
لوقا (في هدوء) : نعم أنا .. ولا أحد غيري ... يارب !!
فاسيلي (يغلق باب الصالة ويبحث عن المزلاج فلا يجده) : آه الملاعين !
انزل إليها العجوز .
لوقا : سأنزل حالا . (ينزل)

- فاسيلي (بخشونة): لماذا صعدت إلى أعلى القرن؟
 لوقا : وهل كان يجب على أن أكون في مكان آخر؟
- فاسيلي : ولكنك خرجت إلى الردهة .
 لوقا : إن برودتها لا يتحملها عجوز مثلي .
- فاسيلي : وهل سمعت؟
 لوقا : نعم .. وهل كان في إمكاني أن أمنع نفسي من السمع؟ إنني
 لست أصم. آه إنك محظوظ يا بني.. إنك محظوظ !
- فاسيلي (بشك) : وكيف؟
 لوقا : لأنني صعدت فوق القرن .
- فاسيلي : ولماذا أخذت تصدر هذا الشخير المزعج من فوق؟
 لوقا : لأنني تضايقت من الحر .. وكان ذلك من حسن حظك يا بني ،
 فقد قدرت أنك قد تخطيء وتضغط على رقبة العجوز حتى تقتله.
- فاسيلي : نعم .. كان ذلك ممكنا ، فأنا أكرهه —
 لوقا : لا شيء أسهل من ذلك ... في وسع أي إنسان أن يفعله ...
 وكثيرا ما يقع الناس في هذا الخطأ.
- فاسيلي (يبتسم) . اليس من المحتمل أن تكون أنت قد وقعت
 فيه مرة؟
- لوقا : استمع يا بني الى ما سأقوله لك .. يجب عليك أن تهتدع عن
 هذه المرأة ولا تدعها تقترب منك أبدا .. إنها ستعرف كيف
 تودى بزوجها الى القبر دون معونتك .. وهي ستفعل ذلك

خيرا منك بكثير .. صدقنى يا بنى ولا تستمع إلى هذه اللعينة.
أنظر إلى رأسى .. ألا تراه قد أصبح أصلع ؟ لماذا ؟ إنه بسبب
أمثال هذه المرأة .. لقد عرفت منهن عددا يفوق ما كانلى
من شعر .. وهذه المرأة فاسيليا امرأة شريرة .. وحوش
الغابات أرحم منها .

فاسيلي : أنا لا أفهم ، هل المفروض أن أشكر .. أم أنك لست إلا -
لوقا : لا تقل شيئا ، فلن تستطيع أن تضيف إلى ما قلته شيئا ذا بال
.. خير لك أن تستمع إلى - أيا كانت هذه الفتاة التى تحبها هنا ،
خذها من ذراعها وارحلا من هذا المكان .. ابتمد من هنا بأسرع
ما تستطيع !

فاسيلي (برزاة) : إني لا أستطيع تقسيم الناس إلى طيبين وأشرار ..
أنا لا أفهم شيئا .

لوقا : وهل هناك ما يستحق الفهم ؟ إن الإنسان قادر على أن يحيا
حسبا يملئ عليه قلبه . اليوم يدفعه قلبه إلى طريق الخير ، وغدا إلى
الحسة والندالة .. فإذا كانت هذه الفتاة قد مست شغاف قلبك
حقا ، فخذها واهرب .. وهذا كل ما فى الأمر .. كما أنك تستطيع
أن ترحل وحيدك لأنك لا تزال صغيرا وأمامك الوقت
الكافى للعثور على امرأة مناسبة تستقر معها .

فاسيلي (يمسك بكتفى لوقا) : هل تستطيع أن تخبرنى ماذا تستفيد أنت
من كل هذا ؟

لوقا

: انتظر .. دعنى لأرى آنا فقد كانت أنفاسها تضطرب (يسير إلى فراش آنا ويرفع الستار ثم ينظر إليها ويلمسها بيده بينما يراقبه فاسيلي بانتباه وحيرة) يا إله يا أرحم الراحمين تقبل بلطفك روح عبدتك الراحلة آنا.

فاسيلي

(بصوت هادىء) : هل ماتت ؟ (يمدد جسمه دون أن يتحرك من مكانه ويحدق فى الفراش)

لوقا

(بهدوء) : لقد انتهى عذابها .. أين زوجها ؟
: الغالب أنه فى الخانة .

فاسيلي

: لا بد أن أذهب لأخبره .

لوقا

(يهز كتفيه) : أنا لا أحب الأموات .

فاسيلي

(ذاهبا إلى الردهة) : وماذا بقى فيهم لنحبهم من أجله ؟
الأحياء هم الذين يستحقون الحب .. نعم الأحياء .

لوقا

: سأتى معك .

فاسيلي

: هل أنت خائف ؟

لوقا

: أنا لا أحب - (يسرعان إلى الخارج .. المكان خال وهادىء .. بعد قليل تسمع ضجعة غير واضحة ولا منسجمة آتية من ناحية الردهة ، ثم يدخل الممثل) .

فاسيلي

(يقف عند المدخل ويترك الباب مفتوحا ويمسك به بكلتا يديه ويصيح) : هيه أيها العجوز ! أين أنت ؟ .. لقد تذكرتها .. اسمع (يتقدم خطوتين مترنحا ويتخذ وضعا مسرحيا ثم يبدأ فى

الممثل

(الإلقاء)

« إذا كان العالم يا رفيق ، عاجزا عن الاهتمام إلى طريق العدل والحق ، فلنكرم إذن ذلك المجنون الذى ينسج أحلاما ذهبية ليمنح البشريه نهاية سعيدة .»

(تظهر ناتاشا بالباب خلف الممثل (أيها العجوز ، اسمع : «وإذا نسيت الشمس غدا أن تضئ الطريق الأبدى نسوكبنا فستبزع حالا فكرة لمجنون من المجانين لتدير الأرض المظلمة .»

ناتاشا (ضاحكة) : أيها المعتوه ! هل كنت تسكر بالخارج ؟
الممثل (يواجه ناتاشا) : آه ! هذا أنت ؟ .. أين العجوز ؟ .. العجوز العزيز الضئيل ؟ يبدو أنه لا أحد هنا ... حسنا الوداع يا ناتاشا
نعم . الوداع !
ناتاشا (تخطو إلى الأمام) : إنك لم تسكد تقل مساء الخير ... والآن .
تقول الوداع .

الممثل (يقف في طريقها) : سأترك هذا المكان .. سأرحل .. سيأتي الربيع ولكنى لن أكون هنا .

ناتاشا : دعنى أمر ... إلى أين ستذهب ؟

الممثل : سأذهب للبحث عن إحدى المدن حيث أعالج .. يجب أن ترحل أنت أيضا يا «أوفيليا» لتدخلى الدير .. فى هذه المدينة مصحة لعلاج مدمنى الخمر ، مصحة فخمة مصنوعة كلها من

الرخام، حتى الأرضية ... الحجرات نظيفة وضاعة ... والطعام وكل شيء هناك مجانا .. ولا تنسى أن الأراضى رخامية أيضا .. سأعثر على هذه المصحة وسأشفى ، وسأعود مرة ثانية إلى النمثيل « لاني في طريقى لأولد من جديد، كما قال الملك لير . لا أحد يعلم أن اسمى المسرحى هو شفر شكوف زافولسكى لا أحد يعلم هذا ، فأنا هنا بدون أمم ... هل تستطيعين إدراك مدى الألم الذى يعانيه الإنسان من فقد اسمه ؟ ... فعلى الكلاب لها أسماء ... (تتحرك ناتاشا بهدوء حول الممثل وتقف عند فراش آنا وتنظر) إن من فقد اسمه فقد نفسه .

ناتاشا : انظر إنها ميتة !

الممثل (يهز رأسه) : هذا مستحيل !

ناتاشا (تتقهر إلى الوراء) : حقا ... انظر .

(يظهر بوبنوف بالبواب)

بوبنوف : إلى أى شيء ؟

ناتاشا : إن آنا ميتة .

بوبنوف : هذا معناه انتهاء سعالها المزعج (يسير إلى فراش آنا وينظر إليها ثم يذهب إلى فراشه) يجب اخبار كلستش فهذا شأنه .

الممثل : اذهب لإخباره .. لقد فقدت اسمها ! (يخرج)

ناتاشا (واقفة فى وسط الحجرة) : بنىأتى يوم أنتهى فيه هذه النهاية فى قبو دون أن يفكر أحد فى .

بوينوف (وهو يبسط بعض الملابس الممزقة على فراشه) : ماذا ماهذه الغممة ؟

ناتاشا : لا شيء ... كنت أكرم نفسي ...

بوينوف : هل تنتظرين فاسيلي ؟ ... احترسى فسوف يكسر لك رقبتك
ناتاشا : إنها ستكسر ستكسر ، فلا يهم من الذى سيفعل ذلك ... بل
أنا أفضل أن يكون هو الذى يكسرها .

بوينوف (يستلقى على فراشه) : حسنا ... هذا شأنك أنت .

ناتاشا : من الخير أنها ماتت ... ولكنى لا أستطيع أن أمنع نفسى من
الرثاء لحالها .. يارب لماذا عاشت هذه المخلوقة ؟

بوينوف : هذا مصيرنا جميعا ... فالإنسان يولد ثم يعيش بعض الوقت
ثم يموت ... أنا سأموت وكذلك أنت ، فليس هناك ما يستوجب
الحزن . (يدخل لوقا والتترى وجويتر وكستش .
كستش . يسير خلف الآخرين متباطئا مقوس الظهر .)

ناتاشا : هس .. أنا —

جويتر : نحن نعلم فليرح الله روحها إذا كانت قد ماتت .
التترى (لكستش) : يجب أن تخرجها من هنا اسحبها إلى الردهة
فليس هنا مكان الأموات ... هنا سينام الأحياء بعد قليل .
كستش (فى صوت منخفض) : سأخرجها .

(يسير الجميع نحو الفراش .. يحدد كستش فى زوجته من فوق
أكتاف الآخرين)

جويتر (للتري): هل تظن أنها ستسبب رائحة كريهة؟ لا أظن لأن لحمها قد جف أثناء حياتها .

ناتاشا : يا إلهي ما من أحد يشعر بالحزن من أجلها ... أو يتفوه بكلمة واحدة طيبة ، يا للعار !

لوقا : لا تفكرى بهذه الطريقة يا فتاتي .. فهم على حق . كيف نشعر بالحزن على ميت ؟ .. إننا يا فتاتي لا نشعر بالحزن من أجل الأحياء .. ولا حتى من أجل أنفسنا .. فماذا تنتظرين غير هذا؟
بوينوف (يتشأب) : وشيء آخر إن الميت لا يتأثر من كلماتنا . أما المريض فإنه يتأثر .

التري (يسير الى الخارج) : يجب أن استدعى البوليس .

جويتر : البوليس ... هل اخبرت البوليس يا كلستش ؟

كلستش : لا . . يجب أن أدفنها وكل ما أملكه هو أربعين كوبكا .

جويتر : إذن ، فيجب أن تقترض .. أو قد نستطيع أن نجتمع لك بعض المال ، خمسة كوبكات من هذا ، وأى مبلغ يسمح به ذلك . ولكن ينبغي أن تخبر البوليس حالا وإلا اعتقدوا أنك قتلتها أو أى شيء آخر . (يسير إلى فراشه ويستعد للنوم بحوار التري)

ناتاشا (تسير نحو فراش بوينوف) : سأظل أحلم بها لأنى أرى الأموات دائما أثناء نومي .. أنا أخاف العودة وحيدة فالرعدة مظلمة .

لوقا : (يتبعها) : خذنها عني أن تخافى من الأحياء.. الأحياء.. لا الأموات.
ناتاشا : تعال معي إلى الباب أيها الجد.

لوقا : حسنا هيا بنا . (يخرجان ... فترة من الصمت)
جويتر : أوه ، هاها .. ياتتري إن الربيع قد اقترب يا صديقي ، وسوف
تدفا الدنيا من جديد ! لقد أخذ الفلاحون يعدون محاربتهم
وجراراتهم لحرق الأرض .. ونحن يا حسن ماذا سنفعل ؟
بوينوف . إن التتريين يحبون النوم .

كلستش (يقف في وسط الغرفة ويحدق في الفضاء بغباء) : وماذا
أفعل الان ؟

جويتر : استلق على ظهرك ونم... هذا كل شيء .
كلستش (بصوت خافت) وماذا عنها ؟ (لا يجيبه أحد .. يدخل
ساتن والمثل .)

الممثل (يصبح) : أيها العجوز ... تعال هنا يا صديقي المخلص .
ساتن : انظروا .. انظروا إلى المكتشف العظيم ! هاها !
الممثل : لقد أعددت كل شيء ! أين المدينة أيها العجوز ؟ أين أنت ؟
ساتن : ياله من سراب ! خذك العجوز فليس هنالك شيء . لا مدينه ولا
ناس ... لا شيء !

الممثل : أنت تكذب !
التتري (يقفز من فراشه) : أين صاحب هذا المنزل ؟ سأذهب إليه
فأنا لا أستطيع النوم ... لن أدفع الإيجار بعد اليوم أموت ..

و ... وسكاري . (يندفع خارجا ويتبعه سائن بصغير)
يو بنوف (بصوت ناعس) : هيا الى فراشكم يا اصدقاء ... وكفوا عن
الضحيج ... فالمفروض أن الناس تنام بالليل .
الممثل . أوه ، نعم توجد هنا جثة ميت ... « أبى ، أبى هل سمعت ؟
لقد صادت شيئا كئنا جثته ! .. » .. هذا من شعر شكسبير .
سائن (يصيح) : إن الجثث لا تسمع ! الجثث لا تشعر ! صيحو ،
اصرخوا — فالجثث لا تسمع !
(يظهر لوقا بالباب)

« ستار »

الفصل الثالث

[أرض فضاء ، تناثرت في انحاءها مواد قديمة مهلهلة ، وكستها الأعشاب البرية . في المؤخرة حائط من الطوب الاحمر يعترض السماء ، وقد نمت إلى جواره بعض الشجيرات . ويظهر على اليمين جدار خشبي داكن اللون هو جانب من حظيرة . على اليسار حائط رمادي به ترميمات . هذا الحائط جزء من منزل كستليوف وهو يمتد براوية إلى منتصف المسرح تقريباً ، وبينه وبين الحائط الاحمر بحر ضيق . توجد في الحائط الرمادي نافذتان إحداهما في مستوى الارض والاخرى يبلغ ارتفاعها خمس اقدام ، وهي قريبة من الممر . بحذاء هذا الحائط توجد عربة ثلجية من الطراز الريني مقلوبة وكتلة خشبية طولها حوالي عشر اقدام . وبحوار الجدار الايمن كومة من الدعائم والالواح الخشبية القديمة .

الوقت مستهل الربيع وقد ذابت الثلوج .. ولم تزهز أغصان الشجيرات بعد . الشمس الغاربة تضيئ وهجها على الحائط الاحمر .

ناتاشا وناستيا جالستان جنباً إلى جنب على الكتلة الخشبية . لوقا والبارون جالسان على العربة المقلوبة . كلتئش مستقلق على كومة من الأخشاب القديمة . يظهر رأس بوبنوف من النافذة المنخفضة .]

ناستيا (تتحدث وكأنها تغني ، مغمضة العينين ورأسها يتحرك في إيقاع متسق مع كلماتها) : وفي ليلة من الليالي جاء إلى الحديقة ، إلى الشجرة التي تواعدنا عندها .. وكنت أنا هناك

انتظره من زمن طويل ، وأرتعد خوفا . وكان هو أيضا يرتعد
من قمة رأسه إلى قدمه ، وكان وجهه أبيض كالطباشير وفي يده
مسدس —

ناتاشا (تتسلى بتكسير بذور حبات عباد الشمس) : تصورى ا يبدو
أن ما يقال عن حالات اليأس التى تتملك الطلبة صحيح ..
ناسيتا : وقال لى فى صوت متهدج « يا حياى ، يا حبيبى الغالية —
بوثوف : ها ها ! غالية ! »

البارون : لحظة واحدة إذا لم يكن هذا الحديث يعجبك فلا تنصت —
ولكن لا تغسد كذبة متقنة . استمرى .

ناسيتا : ثم قال لى « يا معبودى إن والدى يرفض الموافقة على زواجى
منك ، ويهدد بلعننى إلى لأبد من أجل حبي لك . وهكذا فلم
يبق أمامى سوى إنهاء حياى . » وكان المسدس كبيراً فى يده
وبه عشر رصاصات كاملة . ثم قال : « وداعا يا حبيبى ، فلن يغير
رأى أى شيء ، فإن لا أقوى على الحياة بدونك أبداً . فأجبتة
يا حبيبى الذى لن أنساه أبداً . » يا مارسيل —

بوثوف (بهشة) : مورسيل ؟ ما هذا ؟ أهو شيء يؤكل ؟
البارون (ضاحكا) : ولكن اسمى ياناسيتا .. ألم يكن اسمه فى المرة
السابقة جاستون ؟

ناسيتا (تهب واقفة) : اسكتوا أيها البؤساء ! .. ما أنتم إلا كلاب
ضالة كيف يمكنكم أن تفهموا الحب ؟ .. الحب الحقيقى ؟ أما

أنا فقد جربته (للبارون) وأنت أيها البائس المسكين ! تزعم أنك متعلم ؟ وكنت تشرب القهوة بالقشدة في الفراش —

لوقا : مهلا يارفاق ! لا تقاطعوها احترمو القشاة ودعوها تسلك طريقها .. فليس المهم ما يقال ، وإنما المهم هو لماذا يقال ، وأنت يا فتاتي لا تبالي بهم ، واستمرى في قصتك .

بوينوف : نعم .. غير ريشك أيها الغراب .

البارون : حسنا استمرى .

ناتاشا : ومن يكون هؤلاء حتى تهتمى بهم ؟ إنهم لا يقولون هذا إلا حسدا فليس لديهم ما يقصونه عن أنفسهم .

ناستيا (تعود إلى مجلسها) : لا أريد أن أتحدث أكثر من هذا —

لا ، لن أفعل . ماداموا لا يصدقوننى ويستخرون منى —

(تكف عن الحديث فجأة وتصمت لحظات قليلة ، ثم تغلق

عينها مرة ثانية وتعود إلى قصتها في صمت دافئ مرتفع

محركة يديها حركات متسقة مع إيقاع كلامها ، وكأنها تنصت إلى

موسيقى آتية من بعيد) فقلت له : يافرحه عمرى ! يانجمى

الساطع ! إن حياتى بعدك فى هذا العالم مستحيلة . فأنا أحبك

بجنون ، وسأظل أحبك ماخفق قلبى بين ضلوعى .. ولكن يجب

عليك ألا تدمر شبابك الغض ، أبق عليه من أجل والديك

فأنت سعادتهما الوحيدة — انسنى ودعنى أقاسى وحدى آلام

فقدك .. فأنا وحيدة فى الحياة .. وهل لأمثالى أحد ؟ فلا مت أنا ،

فلست أبالي بموتى الآن ! أنا لا أصلح لأى شىء ، وليس لى شىء .

(تدفن وجهها بين كفيها وتبكي فى صمت) .

ناتاشا (تبتعد عن ناستيا وتتحدث بصوت منخفض) : لا تبكى ...

لا تبكى ! (لوقا يربت على رأس ناستيا مبتسما)

يوشوف (يشفجر ضاحكا) : أيتها المعتوهة !

البارون (ضاحكا) : هل تصدق ما قالته أيها الجدة ؟ .. لقد اقتبسته كله

من كتاب الحب القاتل ، .. إنه مجرد هذر فلا تشغل نفسك بأمرها

ناتاشا : وما دخلك أنت فى الأمر ؟ إذا لم يكن لك قلب ينبض فلا أقل

من أن تمسك لسانك .

ناستيا (بعنف) : أنت أيها الملحد الفارغ ! أين ذهبت روحك ؟

لوقا (ممسكا ناستيا من ذراعها) : تعالى يا عزيزتى . هدى من روعك

ولا تبالي بهم . أنا فاعم .. إني أصدقك . إن كلامك هو الصادق

لا كلامهم . إذا كنت تعتقدين أنك أحبيت حبا حقيقيا ، فليقد

أحبيت لاشك .. أحبيت بالتأكد .. لا تغضبى من البارون ربما

كان ضحكه مجرد حسد .. ربما لم يعرف فى حياته كلها شيئا حقيقيا

صادقا ... تعالى .

ناستيا (تضغط بيديها على صدرها) : بشر فى هذا صحيح ، لقد حدث

هذا كله فعلا يا جدى .. لقد كان طالبا ، طالبا فرنسيا اسمه

« جاستون » . وكانت له لحية صغيرة سوداء ، وكان يرتدى

هذام جلد يا برقة . ليلعننى الله إذا لم يكن هذا حقا . . وكان

يحبني أخلص الحب .

لوقا : أنا فاهم . أنا أصدقك .. تقولين إنه كان يرتدى حذاء برقبة؟
بالطبع ! وكنت أنت تحبينه أيضا؟ (يخرجان من الممر)
البارون : إن هذه الفتاة غبية — نعم هي طيبة ، ولكنها غبية غباء
لايحتمل .

بوبنوف : ما الذى يغرى الناس بالكذب إلى هذا الحد؟ كأننا يواجهون
دائما محققا يطرهم بالتهم —

ناتاشا : يبدو أن الأكاذيب أجمل من الحقيقة بكثير . أنا أيضا —
البارون : حسنا اكلى .

ناتاشا : أنا أيضا أحب أن أنخيل أشياء ... أنخيلها ثم أنتظر .

البارون : تنتظرين ماذا؟

ناتاشا (تبسم مرتبكة) : أوه ، لا أدري . إنى أحيانا أفكر أن الغد
قد يأتى بشخص .. شخص مختلف كل الاختلاف عن حولى ،
وأن شيئا قد يحدث لم يحدث من قبل . إنى أنتظر وأنتظر ..
أنا فى انتظار دائم . ولكنى أتساءل ، ما هذا الذى انتظره ؟

البارون (ساخرا) : لا شيء يستدعى الانتظار . أنا لا أتوقع أى شيء ،
فكل شيء قد حدث فعلا . كل شيء قد انتهى ! اكلى حديثك .

ناتاشا : وأحيانا أخرى ينجيل إلى أنى غدا .. ساموت فجأة . هذه
الفكرة تعطينى إحساسا غريبا يجعلنى أقشعر .. والصيف وقت
مناسب لتخيل الموت .. فهو كثير الصواعق ، وما أسهل أن

تقضى إحداها على الإنسان !

البارون : إن حياتك قاسية لاريب . فأختك شيطان مرید .
ناتاشا : وهل هناك من يحيا حياة سعيدة ؟ لا أحد . إنى أرى
هذا حولي .

كلستش (يهب واقفا فجأة بعد أن كان ساكنا غير عابىء بشيء) :
لا أحد ؟ هذا كذب ! فيوجد بعض السعداء .. لو كان الجميع
يقاسون ، لكان الأمر ، ولما شعر أحد بظلم الحياة له .

بوبنوف : ماذا بك ؟ .. أركبك الشيطان ؟ .. لماذا تنبح هكذا ؟ هو ؟
(كلستش يستلقى على كرم الأخشاب كما كان ، ويفغم بينه وبين نفسه .)
البارون : أظن أنه يستحسن أن أذهب وأصالح ناستيا .. وإلا فلن
تقدم لى أى شراب .

بوبنوف : هه - إن الناس جميعا يحبون الكذب .. أما ناستيا فأنا
أفهم لماذا تكذب ، لقد تعودت أن تطلّى وجهها بالمساحيق
وهى تريد طلاء روحها كذلك ، تريد صبغها « بالروج » .
ولسكن لماذا يكذب بقية الناس ؟ فهذا لوقا يكذب بإسراف ولا
ينال شيئا من وراء كذبه .. ثم إنه رجل عجوز ، فلماذا يكذب ؟
البارون (يتعبد مبتسما) : إن أرواح الأدميين كلها رمادية تافهة ، وهم
جميعا يريدون صبغها « بالروج » .

لوقا (يعود من ناحية الممر) : اسمع يا صديق ، لماذا تضايق الفتاة ؟
يجب أن تتركها وشأنها . دعها تسرى عن نفسها بالبسكا أنت .

تعلم انها تجد متعة في البكاء .. فإ الذي يضايقك في هذا ؟

البارون : الموضوع كله سخييف .. لقد مللته . اليوم «مارسيل» ، وغدا «جاستون» ، وكل يوم نفس القصة لا تتغير ا على كل حال فأنا ذاهب لأصالحها (يخرج) .

لوقا : اذهب وكن رفيقا بها .. فلن يؤذك أبدا رفقتك بإنسان .

ناتاشا : أنت رجل طيب أيها الجد ، ما الذي يجعلك هكذا ؟

لوقا : تقولين طيب ؟ لا بأس إذا كان زعمك صحيحا .

(يسمع من وراء الحائط الأحمر غناء لطيف يصاحبه عزف على «الأوكر ديون») يجب أن يكون بعض الناس طيبين يا فتاتي يجب أن نشعر بالحزن من أجل الآخرين .. لقد كان المسيح يشعر بالحزن من أجل الناس جميعا ، وأمرنا أن نكون مثله .. صدقيني إن إحساسك بالحزن من أجل إنسان في اللحظة المناسبة يفيدك كثيرا .. وهالك حادثة وقعت لي تؤيد هذا . في وقت من الأوقات كنت حارسا للمنزل ريفي يملكه أحد المهندسين في سيرايا بالقرب من مدينة «تومسك» ، وكان المنزل وحيدا وسط الغابة ليست بجواره مساكن أخرى . وكان الوقت شتاء وكنت في المنزل وحدي وكنت سعيدا .. وذات يوم سمعت أصواتا بالقرب من إحدى النوافذ .

ناتاشا : لصوص ؟

لوقا

: تماما .. وكانوا يحاولون كسر النافذة ، فأخذت بندقتين وخرجت ونظرت فإذا برجلين يحاولان فتح النافذة . وكانا منهما مكيين في عملهما حتى أنهما لم يشعرأبى ، فصحت فيهما : « هيه أتما .. ابتعدا من هنا ! ، فما الذى فعلاه ؟ لقد استدارا واندفعا نحوى بفأس فأذرتهما قائلا : « ابتعدا وإلا اطلقت عليكما النار » ، وصوبت البندقية نحوهما ، فما كان منها إلا أن ركعا توسلا إلى أن أتركهما ، واسكنى كنت حائقا عليهما فى ذلك الوقت بسبب الفأس ، فقلت لهما : « أيها الشيطانان .. إنكما لم تبتعدا حينما طلبت منكما ذلك ، أما الآن فليكسر أحداكما أغصانا من هذه الشجرة » ، فلما تم ذلك قلت : « فلينبطح أحداكما على الأرض وليضربه الآخر بالأغصان » ، وهكذا ضرب كل منهما الآخر تنفيذا لأوامرى ولما تم ذلك قالالى : « أيها الجدد أعطنا بعض الخبز رحمة بنا ، فقد كنا نتجول وأمعأؤنا خاوية ، هؤلاء هم اللصوص يا عزيزى (يضحك) وكان معهما فأس أيضا لقد كان الاثنان شخصين طريفيين . فقلت لهما : « يا شيطانان لماذا لم تطلبيا الخبز من أول الأمر ؟ ، فأجابانى : « لقد مللنا السؤال . ظللنا نسأل الناس دون أن نحظى منهم بشيء على الإطلاق .. وهذا شئ يؤلم النفس أمر الألم .. ، وهكذا أقاما معى الشتاء كله . وكان أحدهما ويدعى « ستبان » . يأخذ البندقية أحيانا ويخرج إلى الغابة ليصطاد ، ويمضى فيها عدة أيام .. أما الآخر

و يدعى دياكوف ، فكان معتل الصحة دائم السعال .. وظلنا نحرس المنزل الريفي سويا حتى جاء الربيع فقتلنا لى : « الوداع أيها الجد .. ورحلا آخذين طريقهما الى روسيا .

ماتاشا : هل كانا هارين من السجن ؟

لوقا : نعم ، كانا هارين من معسكر اعتقال . مخلوقان لطيفان ! لو لم أشعر أنا بالحزن من أجلهما في الوقت المناسب لكانا قتلنا أو لحدث شيء من هذا القبيل . ثم كانا يحاكمان ويرسلان إلى السجن أو إلى المنفى في سيبيريا . أى حكمة في هذا ؟ إن السجن لا يعلم الإنسان فعل الخير ، ولا حتى إسيبيريا ، أما الإنسان فإنه يستطيع أن يعلم أخاه الإنسان فعل الخير - صدقوني ! بوشوف : نعم ! ولكنى لا أعرف كيف أكذب . وما فائدة الكذب ؟ إن ما أقصده إن على الإنسان أن يقول الحقيقة كما هى دون أن يخجل منها أيا كانت .

كلستش (يهب واقفا مرة ثانية كمن اشتعلت فيه النار ويهيج) : أى حقيقة ؟ أين الحقيقة ؟ أنا متعطل ولا أقوى على العمل .. وليس لدى مكان أعيش فيه .. كل ما بقى لى هو أن أموت كالكلب ! أليست هذه هى الحقيقة ؟ يارب رحمتك ! .. ما قيمة الحقيقة بالنسبة إلى من لا يريد أن أتنفس بحرية أكثر .. هذا هو كل ما أريده أى ذنب جنيته ؟ وما قيمة هذه الحقيقة التى تتشددون بها ؟ ليست لدى فرصة للحياة يارب يا قادر .. ليست هناك أى فرصة ..

هذه هي الحقيقة !

بوينوف : إيه .. لقد أصيب في عقله بلاشك .

لوقا : يارب .. اسمع يا صديقي يجب عليك أن -

كلستش (يهتز منفعلًا) : أنت تظل تردد الحقيقة .. الحقيقة ! أيها العجوز

إنك تظل تهدى الجميع .. حسنا إني أكرهكم جميعا .. وهذه

حقيقة أخرى - فألى الجحيم بها .. أفهمون؟ .. إلى الجحيم (يخرج

مندفعا من ناحية الممر وينظر خلفه قبل أن يختفى) .

لوقا : يا إلهي ! إنه مرتبك ارتباكًا شديدا ! ترى إلى أين هو ذاهب؟

ناتاشا : لقد تصرف الآن كمن أصيب بخجل مفاجيء .

بوينوف : إني أسميه استعراضا ظريفا .. تماما كما يحدث على المسرح .

ولو أن هذا يتكرر كثيرا . إن الرجل لم يتعود على احتمال

الحياة بعد .

(يدخل فاسيلي متباطئا من ناحية الممر)

فاسيلي : السلام عليكم أيها القوم الشرفاء ! ألا تزال أيها العجوز

المحتال تقص حكاياتك ؟

لوقا : كان يجب أن تكون حاضرا منذ قليل .. فقد فاتك أن ترى

رجلا يصرخ حتى كاد يمزق رثتيه .

فاسيلي : من ؟ كلستش ؟ .. ترى ما الذي أصابه ؟ لقد رأيته يجرى

وكأنما اشتعلت النار فيه

لوقا : وكيف لا يجرى والنار تشتعل في قلبه؟

فاسيلي : أنا لا أحبه . فهو دائما حزين ومتكبر (يقلد كلستش) وأنا عامل ، .. وهو يحاول أن يقنعك بأنه أرفع من الجميع .. ليشغل عاملا إذا أراد . ولكن ما وجه الفخر في ذلك ؟ . إننا لو حكمنا على الناس بأعمالهم لكان الحصان أفضل من أى إنسان ، فأنت تركبته وتقوده كيفما شئت دون أن ينبس ببنت شفة . . هل أهلك بالمنزل يا ناتاشا ؟

ناتاشا : لقد ذهبوا إلى المدافن - وقالوا إنهم سيحضرون الاجتماع المسائي بعد ذلك .

فاسيلي : لقد كنت أفكر في سبب وجودك هكذا لا تؤدين أى عمل إنه منظر نادر .

لوقا : (يحدثا بوبنوف وقد بدت على ملامحه علامات التفكير) : لقد كنت تقول إننا في حاجة إلى الحقيقة ، ولكن الحقيقة يا بوبنوف ليست دائما العلاج لآلام الناس ، فأنت لا تستطيع دائما أن تشفى الأرواح بالحقيقة . وخذ هذه الحالة مثلا .. لقد كنت أعرف رجلا يؤمن بوجود أرض ، كل ما فيها حق . وعدل .

بوبنوف : يؤمن بماذا ؟

لوقا : يؤمن بأرض الحقيقة والعدل . وكان يؤكد أن هذه الأرض لا بد أن تكون موجودة في مكان ما في هذا العالم . وكان يقول إن سكان هذه الأرض نوع خاص من البشر الممتازين ،

يحترم بعضهم بعضا ، ويساعد بعضهم بعضا ، وكل ما يفعلونه جميل وخير .. وهكذا كان هذا الرجل يفكر كل يوم في السفر للبحث عن أرض الحق والعدل هذه .. كان فقيرا معدما يقاسى الأمرين في حياته ، ولكنه كان حينما تتعقد الأمور على استعداد للإستلقاء على ظهره .. ليموت دون أن يفقد شجاعته بل كان يتسم دائما ويقول : سأتحمل وسأنتظر قليلا ، ثم سأهجر هذه الحياة وأذهب إلى أرض الحق والعدل .. كان الحلم بهذه الأرض هو سعادته الوحيدة في الحياة —

فاسيلي : وهل ذهب حقا ؟

بوبنوف : أين ؟ ها ها !

لوقا : ثم حضر إلى هذا المكان — وكان ذلك في سيبيريا — عالم نفته ، الحكومة ، وكان يحمل معه كثيرا من الكتب والخرائط ونحوها .. فقال له صاحبتنا : هل في سمع وفا وتدلى على مكان أرض الحق والعدل وطريق الوصول إليها؟ ، ففتح العالم كتبه واستشار خرائطه .. بحث هنا .. وبحث هناك ، فلم يجد أرض الحق والعدل لا هنا ولا هناك .. كل شيء في مكانه وكل البلاد والأراضي واضحة في أماكنها .. أما أرض الحقيقة والعدل فلا وجود لها .

فاسيلي (في صوت خفيض) : لا وجود لها ؟ .. حقاً ؟ (بوبنوف يضحك)

ناتاشا : لا تقاطع . استمر أيها الجد .

لوقا : فلم يصدقها صاحبنا وقال له : ولا بد أنها موجودة ، حقق النظر مرة ثانية .. وإلا فكُتبتك وخرائطك لا قيمة لها إذا ما فشلت في إرشادنا إلى أرض الحقيقة والعدل .. فغضب العالم لهذا الحديث وقال : « إن خرائطي أدق خرائط في العالم ، أما أرض الحقيقة والعدل فلا وجود لها في أى مكان .. فغضب صاحبنا هو الآخر وقال مختبدا : « لقد عشت وقاسيت كل هذه السنوات معتقدا في وجودها ، ثم أتى خرائطك لتدحض هذا الاعتقاد ! .. إنها سرقة أيها القذر الحقير .. إنك لص ولست عالما .. وضربه بقبضة يده على أنفه مرتين . (بصمت) ثم تركه وعاد إلى غرفته .. حيث شقق نفسه . (بصمت الجميع بينما ينظر لوقا إلى فانسيلي وناتاشا باسما) .

فانسيلي : (في صوت منخفض) : يا للشيطان ! .. إنها ليست قصة مريحة فانتاشا : لم يتحمل اكتشاف خديعته .
بوتنوف (عابسا) : إنها مجرد أقاصيص .
فانسيلي : نعم - هذه هي قصة أرض الحق والعدل . لقد أنتهت بأنه لا يوجد شيء من هذا القبيل .
ناتاشا : إني شعرت بالحزن من أجل هذا الرجل .
بوتنوف : كلها أوهام .. ها ها ! أرض الحق والعدل ، ما رأيكم في هذا ؟
ها ها ! (يتخفى من النافذة)

لوقا (مشيرا براسه ناحية نافذة بوبنوف) : إنه يضحك . هيه . هيه !
(بصمت) حسنا أيها الاصدقاء إني أتمنى لكم نهايات سعيدة
فأنا مغادركم حالا .

فاسيلي : وأين ستذهب الآن ؟

لوقا : إلى أوكرانيا ، فقد سمعت أنهم توصلوا هناك إلى عقيدة جديدة
يجب أن أطم بها .. نعم فالبشر دائمو الأمل في الوصول إلى شيء
أفضل . فليمنحهم الله الصبر !

فاسيلي : وما رأيك أنت ؟ هل تعتقد أنهم سيصلون فعلا ؟

لوقا : من .. البشر ؟ . نعم سيصلون .. اجث عن أى شيء وتنه من قلبك ..
تصل إليه حتما ..

ناتاشا : لو كانوا سيصلون إلى شيء .. لو كانوا يفكرون في شيء حسن -

لوقا : إنهم سيفكرون في هذا .. ولكن علينا أن نساعدهم يا فتاتي
لنسهل عليهم الأمر .

ناتاشا : وكيف أستطيع أنا أن أساعدكم ؟ .. إني لا أجد من يساعدني !

فاسيلي (بزم) : أنا سأساعدك - وسأعرض عليك الأمر مرة ثانية
يا ناتاشا - وليسمع لوقا أيضا فهو يعرف كل شيء - تعالى معي .

ناتاشا : إلى أين ؟ .. من سجن إلى آخر ؟

فاسيلي : لقد وعدتك بأنى سأمتنع عن السرقة . أقسم لك أنى سأمتنع ،

وأنا أعنى ما أقول .. أنا لست أميا وسأجد عملا .. وهناك

لوقا إنه يقول إن على المرء أن يذهب إلى سيبيريا بإرادته ..

فلنذهب إلى هناك . ألا تظنين أني قد ضقت بحياتي ؟ إنني أعرف وأرى الآن كل ما حولي .. إنني أحاول أن أسرى عن نفسي بتذكر أولئك الذين يسرقون أضعاف ما أسرق ويحاطون بالاحترام والتقدير ، ولكن ذلك لا يسرى عني لأنه ليس الحل لما في نفسي .. وأنا حينما أقول ذلك لست مدفوعا بما يسمونه - الضمير فأنا لا أؤمن به .. شيء واحد أعلمه جيدا . هو أن هذا الطريق ليس طريق الحياة الحقة ، إنني أريد أن أحيى حياة أفضل ، يجب على أن أحيى بطريقة تدعوني إلى احترام نفسي .

لوقا : إنك على صواب يا فتى ، فليساعدك الله . إنك على حق .. يجب على الإنسان أن يحترم نفسه .

فاسيلي : لقد بدأت حياة السرقة منذ طفولتي .. وكان الجميع ينادوني بفاسيلي اللص ، فاسيلي ابن اللص . هكذا .. افهمي الأمر كما تريدن فيها أنا أملك لصا ولكن ربما قد صرت لصا بالرغم مني .. لأن أحدا لم يفكر في أن يناديني باسم آخر غير اللص . ولكنك ستنادينني باسم غير هذا يانا تاشا ، أليس كذلك ؟

ناتاشا : (بنغم حزين) : ولكنني لا أستطيع أن أصدق أى كلام . ثم إنني أشعر بتوعدك اليوم ، وقلبي يؤلمني كما توما أتوقع حدوث شيء .. إنني آسفة لأنك بدأت هذا الحديث يا فاسيلي .

فاسيلي : وإلى متى كنت سأنتظر ؟ .. ثم إن هذه ليست المرة الأولى

التي أصرح لك فيها بهذا .

ناتاشا : حسنا . أنا لا أتصور كيف أستطيع الرحيل معك .. فأنا بصراحة لا يمكنني أن أقول إنني أحبك كثيرا ، فأحيانا يخيل إلى أنني أحبك .. وأحيانا مجرد النظر إليك يؤلمني ، وهذا يدل على أنني لا أحبك حقا .. فحينما تحب إنسانا لا ترى فيه أى عيب ، وأنا أرى فيك عيوباً كثيرة .

فاسيلي : ستحبينني حقا .. لا تقلقي ، ف سأفعل المستحيل لأصل إلى ذلك إذا أنت فقط قلت نعم . لقد كنت أراقبك ما يزيد عن العام وأستطيع أن أرى بوضوح أنك فتاة طيبة ، صارمة مع نفسك غير مستبدة برأيك .. ولقد أحبيتك حبا عميقا .

(تظهر فاسيليا في النافذة العليا في أبهى زينتها وتسرق السمع قد انكأَت على حافة النافذة) .

ناتاشا : حسنا أنت تقول إنك تحبني .. فما قولك في أختي ؟
فاسيلي (مرتبكا) : أوه .. إنها لا تعنى شيئا بالنسبة إلى ، فهناك كثيرات من نوعها .

لوقا : لا تهتمى بهذا الأمر يا فتاتي ، حينما لا يجد الإنسان خبزا فإنه يأكل حشيش الأرض .

فاسيلي (حزينا) : إنني أطلب منك أن تقاسى معي .. فحياتي مريرة ، إنها كحياة الذئب الجائع ، إنها خالية من كل المتع .. إنني أحس

وكأني في مستنقع آسن ، كل ما حولي متعفن ، ولا شيء يحفظني
من التردى إلى أسفل . ولقد ظننت أختك تختلف عن حولي .
فلو لم تكن على هذا الجشع للبال لفعلت المستحيل من أجلها .
ولكن كان يجب أن تكون لي وحدي . ولكنها تبحث عن
شيء آخر . إنها تبحث عن المال والحرية .. حرية اللهو مع الرجال
إنها لا تستطيع أن تعاودني .. أما أنت .. فإنك مثل شجرة
الصنوبر تشوك من يلمسها ولكنها تعين من يستند إليها .

لوقا

: إذا أردت نصيحتي يا فتاتي .. فتزوجيه . فلا بأس به . إنه شخص
طيب . ولكن عليك أن تذكره دائما بأنه شخص طيب حتى
لا ينسى ذلك ، إنه سيصدقك إذا قلت له دائما : إنك شخص
طيب يا فاسيلي ، لا تنسى هذا ! .. ومن جهة أخرى فإلى أي
مكان آخر يمكنك أن تذهبي ؟ أنت تعلمين أن أختك حيوان
لثيم مفترس ، أما زوجها فما من صفة يمكن أن تصور ما هو
عليه من شر . وهذه الحياة هنا .. إنها لن تقودك إلى شيء ذي قيمة ..
أما فاسيلي فهو مخلص وهو يأمل في أشياء .

ناتاشا

: أنا أعلم أنه لا يوجد مكان آخر ألجأ إليه .. لقد فكرت في
هذا . كل ما في الأمر أنني لا أثق في أي إنسان . ولكنك على
حق ، ليس أمامي مكان آخر أذهب إليه -

فاسيلي

: إذا بقيت هنا فأمامك طريق واحد للحياة .. ولكنني لن

ناداشا : أَدْعُكَ تَسِيرِينَ فِيهِ .. إِنِّي أَفْضَلُ أَنْ أَقْتَلَكَ .
 فاسيلي (يحوطها بذراعيه) : كَفَى يَا نَاشَا . فَلْنَتَه مِنْ هَذَا
 الْحَدِيثِ !

ناداشا (تقترب منه) : سَأَقُولُ شَيْئًا وَاحِدًا يَا فَاسِيلِي .. وَ لِيَسْكُنَ اللَّهُ
 شَهِيدًا عَلَيَّ مَا أَقُولُ .. إِذَا ضَرَبْتَنِي أَوْ أَسَأْتُ إِلَى بَائِي صُورَةَ وَلَوْ
 مَرَّةً وَاحِدَةً .. فَلَنْ أَضِيعَ عَمْرِي مَعَكَ .. عِنْدَهَا سَأَشْنُقُ
 نَفْسِي أَوْ —

فاسيلي : لِنَقْطَعْ يَدَيَّ قَبْلَ أَنْ تَمْسُكَ بِسُوءٍ !
 لَوْ قَا : ثَقِيَ بِكَلَامِهِ يَا عَزِيزَتِي .. إِنْ حَاجَتَهُ إِلَيْكَ أَكْثَرَ مِنْ حَاجَتِكَ إِلَيْهِ .
 فاسيليا (مِنَ النَّافِذَةِ) : تَهَانَتِي عَلَى النِّهَايَةِ السَّعِيدَةِ !
 ناداشا : يَا إِلَهِي .. لَقَدْ عَادُوا وَرَأَوْنَا .. أَوْهَ فَاسِيلِي !
 فاسيلي : مِمَّ تَخَافِينَ ؟ لَيْسَ هُنَاكَ مِنْ يَجْرُؤُ عَلَى لَمْسِكَ .
 فاسيليا : لَا تَخَافِي يَا نَاشَا فَلَنْ يَضْرِبَكَ .. إِنَّهُ لَا يَعْرِفُ كَيْفَ يَضْرِبُ ،
 وَلَا كَيْفَ يَحِبُّ .. أَنَا أَعْرِفُهُ .

لَوْ قَا (فِي صَوْتٍ مُنْخَفِضٍ) : أَوْهَ ، يَا لَهَا مِنْ امْرَأَةٍ كَالْحَيَةِ الرِّقَاطِ .
 فاسيليا : إِنَّهُ شَجَاعٌ فِي الْكَلَامِ فَقَطْ — (يَدْخُلُ كَسْتِيلُوفُ) .
 كَسْتِيلُوفُ : نَاشَا .. مَاذَا تَفْعَلِينَ هُنَا أَيُّهَا الْمَتْسَكَةُ ؟ تَفْشِرِينَ الْفَضَائِحَ ؟
 وَتَشْكِينَ مِنْ أَسْرَتِكَ بَيْنَمَا يَرَادُ الشَّيْءُ لَمْ يَعُدْ بِعَدَدٍ وَالْمَائِدَةُ

لم تنظف ؟

ناتاشا : ولكنكم قلتم إنكم ستذهبون إلى الكنيسة .

كستليوف : ما فعله ليس من شأنك ! عليك أن تقومي بعملك وتنظفي

ما يطلب منك !

فاسيلي : احرص ! إنها لم تعد خادمك منذ اليوم .. لا تذهبي يا ناتاشا ..

ولا تفعلي شيئاً !

ناتاشا : لا تصدر أوامر أنت كذلك فلم يحن الوقت بعد . (تخرج)

فاسيلي (لكستليوف) : كفى لقد آذيتك بما فيه الكفاية .. أما

الآن فإنها لي ..

كستليوف : لك ؟ ومتى اشتريتها ؟ ولم دفعت فيها ؟ (فاسيليا تضحك

بصوت مرتفع) .

لوقا : اذهب يا فاسيلي .

فاسيلي : احترسوا أيها الضاحكون فسيأتي وقت تبكون فيه !

فاسيليا : أواه .. يا للهول ! لقد أزعجتني !

لوقا : اذهب يا فاسيلي . ألا ترى إنها تريد إثارتك لتفقد أعصابك ؟

فاسيلي : هكذا ؟ لست أنا ! التذهب روحي إلى الجحيم إذا استطعت

الوصول إلى ما تريد !

فاسيليا : بل فلا تذهب أنا إلى الجحيم إذا لم أصل إلى ما أريد

يا فاسيلي !

فاسيلي (يهددها بقبضة يده) : سوف نرى ! (يخرج)

فاسيليا (وهي تحتق من النافذة) : سأعد لك زفافا رائعا !

كستليوف (متجها إلى لوقا) : ماذا ستفعل أيها العجوز ؟

لوقا : لا شيء أيها العجوز —

كستليوف : حقا .. لقد سمعت أنك سترحل ؟

لوقا : نعم .. لقد حان وقت الرحيل .

كستليوف : إلى أين ؟

لوقا : إلى حيث يقودني أنفي !

كستليوف : فهمت .. تتشرد هنا وهناك .. يبدو أنك لا تجد الراحة في

الاستقرار في مكان واحد .

لوقا : هذا الاستقرار للأحجار ، حتى أن الناس تقول إن المساء

نفسه لا يجرى تحت الحجر .

كستليوف : إننا لا نتحدث عن الأحجار .. إن على الإنسان أن

يبش في مكان واحد . فغير معقول أن يعيش الناس مثل الصراصير

زاحفين كل مكان .. يجب على الإنسان أن يلزم مكانه .. لا

أن يضرب في الأرض دون مبرر .

لوقا : وما رأيك إذا كان مكان الإنسان هو كل مكان ؟

كستليوف : حينئذ يكون متشردا لا فائدة منه .. يجب على الإنسان أن

يكون مفيدا ، عليه أن يعمل —

لوقا : هل تعني ما تقول ؟

كستليوف : نعم . حقا . إني أتساءل ما الناسك ؟ .. إن الناسك ، فيما سمعت أجنبي غريب لا يشبه سائر الناس .. فإذا كان غريبا حقا ، وإذا كان يعلم شيئا أو تعلم شيئا لا فائدة منه لأى مخلوق .. قد يكون فيما يعلمه بعض الحقيقة .. ولكن ليست كل حقيقة مفيدة .. فليحتفظ بما يعلمه لنفسه وليمسك لسانه لأن الناسك الحق لا يتكلم .. أو هو يتكلم بحيث لا يفهمه أحد .. إنه لا يبنى شيئا ولا يهتم إلا بأموره ولا يثير المشاكل دون مبرر ، فليس يعنيه فى شيء كيف يعيش الناس .. فليحي حياة خيرة فى الغابات والأحراش بعيدا بحيث لا يراه أحد . فليس عمله أن يتدخل فى كل شيء وينتقده بل أن يصلح من أجل الناس جميعا .. من أجل آثامهم الدنيوية ، آثامى وآثامك ، ومن أجل كل شيء .. وهو لهذا يطرح وراءه كل الغرور الدنيوى حتى يستطيع التفرغ للصلاة .. هذا هو الناسك (يصمت قليلا) فأى نوع من الناسك أنت ؟ إنك لا تملك جواز سفر بينما الرجل الفاضل يجب أن يكون معه جواز .. فكل الأخيار معهم جواز سفر .. نعم .

لوقا : هناك ناس ، وهناك مجرد رجال بسطاء .

كستليوف : لا تحاول أن تكون ظريفا .. لا تكلمنى بالالغاز .. فأنا لست أكثر منك غباء .. ماذا تقصد بالتفريق بين الناس والرجال ؟

لوقا : ما هذا لغزا . إن الذى أعنيه أن هناك نوعين من التوبة ،

نوعا غير صالح للزراعة بتانا، وآخر خصبا كل ما تزرعه فيه ينمو..
هذا هو كل الفرق .

كستليوف : حسنا وما معنى هذا ؟

لوقا : لنأخذك أنت على سبيل المثال .. إذا قال لك الله عز وجل :
«كن رجلا يا كستليوف ، فلن يحدث كلامه أى أثر فيك ..
فإنك ستظل كما أنت إلى أن تموت .

كستليوف : يبدو أنك لا تعلم أن لزوجتى عما شريطيا .. فإذا أنت -
(تدخل فاسيليا) .

فاسيليا : هيا يا كستليوف لتتناول الشاي .

كستليوف (للقا) : اسمع يا هذا .. اخرج من هنا ! ارحل من المنزل !

فاسيليا : نعم ، أيها العجوز ، ارحل ، فإن لسانك أطول من اللازم ..
ومن يدري فلعلك هارب من السجن .

كستليوف : إذا رأيت أثرا لك بعد اليوم فساتخذ خطوات إيجابية !

لوقا : ستنادى عمك ؟ ناد . قل له إنك أمسكت بهارب من السجن

فلعله ينال مكافأة .. قدرها ثلاثة كوبكات . (يعود بوبنوف

إلى الظهور في النافذة السفلى)

بوبنوف : ماذا هناك ؟ ما الذى يباع بثلاثة كوبكات ؟

لوقا : إنه يهدد بيبي أنا !

فاسيليا (لكستليوف) : هيا بنا .

بوينوف : بثلاثة كوبكات ؟ .. احترس أيها العجوز ، فإنهم مسيبيونك من أجل
كوبك واحد !

كستليوف (لبوينوف) : ما أشبهك بابليس في تدخلك الدائم في كل شيء .
فاسيليا (وهي خارجة) : يبدو أن العالم قد أصبح مليئاً بالمجرمين
والمشبهين .

لوقا : أرجو أن تستمتعا بالشاي !
فاسيليا (ناظرة خلفها) : أمسك لسانك أيها المنشرد القذر ! (تختفي
هي وكستليوف من عند الممر)

لوقا : سأرحل الليلة من هنا .
بوينوف : خيرا تفعل ، فالأفضل أن يرحل الإنسان قبل أن تفوت
الفرصة .

لوقا : أصبت .
بوينوف : أنا أعرف قيمة ما أقول ، فلقد أنقذت نفسي مرة من النفي
إلى سيرييا برحيلي في الوقت المناسب .

لوقا : حقا ؟
بوينوف : هذا هو الواقع ، هاك ما حدث ، فقد صاحبت زوجتي صانع فراء
ويجب أن أعترف أنه كان صانعا ماهرا ، كان بارعا في دبح
جلود الكلاب حتى تبدو وكأنها فراء ثعالب ، وكذلك كان يحول جلود
القطط إلى فراء الكنجرو ، وكل أنواع الفراء . لقد كان بارعا
حقا . صاحبت زوجتي هذا الرجل وتوثقت الهلة بينهما حتى أصبحت
أخشى أن يدس لي السم في أية لحظة ، أو أن يتخلصا مني بطريقة

أخرى .. فأخذت أضرب زوجتى ، وأخذ صانع الفراء يضربنى ، ولقد كان مقاتلا متوحشا حتى إنه نزع لى مرة نصف الحيتى وحطم أحد ضلوعى . واشتد بى الغضب ذات مرة فضربت زوجتى على رأسها بسيف من الحديد .. وهكذا أصبحت المسألة حربا مستمرة بينى وبينهما . ولقد تأكدت أنى لن أصل إلى أى نتيجة بالاستمرار فيها .. فقد كنا أقوى منى . فعمدت العزم على قتل زوجتى - وكنت أكاد أجن شوقا إلى تحقيق هذا العزم .. ولكنى تنبهت فى الوقت المناسب وزحلت بدل أن أقتلها .

لوقا : فكرة صائبة .. اتركهما معا يحولان الكلاب إلى ثالب .
 بوبنوف : كل ما يضائقنى أن مصنعى كان مسجلا باسم زوجتى ، فأصبحت وأمسيت وإذا بى - كما ترائى الآن - لا أملك شيئا .. ولو أن الواقع أنى كنت سأسكر بضمن المصنع حتما .. فأنت ترى أنى مدمن على شرب الخمر .

لوقا : صحيح ؟ آه .
 بوبنوف : نعم .. إنه دام لعين حينما يتملكنى أشرب بكل ما مئى حتى لا يبقى على سوى جلدى .. ثم إننى كسول .. وليس فى إمكانك أن تتصور مدى كرهى للعمل .
 (يدخل سائق والممثل وهما يتناقشان)

ساتن : طق ! لن تذهب من هنا .. إن المسألة ليست إلا خيال
حشاشين .. تعال هنا أيها العجوز .. ماهذه الأفكار التي
جعلت تلقنها لهذا الثرثار المحطم ؟

الممثل : إنك تكذب. قل له أيها الجدد إنه كذاب . إني سأذهب ..
لقد حصلت اليوم على عمل ، فكفست الشارع دون أن
أقرب القودكا . مارأيك في هذا ؟ وهذه هي الثلاثون كوبكا
وهأنذا في وعي .

ساتن : إنه جنون .. هذا كل مافي الامر - أعطني هذا المبلغ
وسأسكر لك به أو أخسره في القمار .

الممثل : اتركني إنه للسفر .

لوقا (لساتن) : والآن لماذا تشيط همة هذا الرفيق المسكين ؟

ساتن : خبرني أيها المشعوذ الذي تؤثره الآلهة .. أى مصير تخبئه لى
النجوم ؟ .. لقد خسرت كل مامى من نقود يا صاحبي ..
فلا يزال هناك من هم أمهر منى فى الغش فى الورق .

لوقا : إنك شخص طيب ومسل يا ساتن .

بوبنوف : تعال هنا أيها الممثل . (يذهب الممثل إلى النافذة ويجلس
القرفصاء مواجهها بوبنوف ويتحدثان فى صوت غير مسموع)

ساتن : فى أيام شبابى كنت مسليا جدا أيها العجوز .. ما أجمل تذكر
تلك الأيام .. لقد كنت سعيدا محظوظا .. أرقص برشاقة

وأمثل على المسرح ، وأحب أن أضحك الناس .. لقد كانت
أياما رائعة .

لوقا : ما الذى جعلك تحيد عن الطريق القويم إذن ؟
ساتن : إنك شديد الفضول أيها العجوز .. تريد أن تعرف كل
شئ .. لماذا ؟

لوقا : لأفهم طبيعة البشر يا عزيزى ، فأنا الآن أنظر إليك دون أن
أفهم حقيقتك تماما .. فإنك مكتمل الرجولة وذكى يا ساتن ..
فلماذا إذن فجأة —

ساتن : إنه السجن أيها العجوز . فلقد قضيت فيه أربعة أعوام
وسبعة شهور .. وبعد السجن لا يجد الإنسان مكانا
يذهب إليه .

لوقا : هكذا .. ولماذا سجنتم ؟
ساتن : من أجل حقيره قدر .. قتلته فى سورة غضب . وفى السجن
تعلمت لعب الورق كذلك .

لوقا : وهل قتلت بسبب امرأة ؟
ساتن : بسبب أختى .. وكفاك إزعاجا فأنا لا أحب أن أستجوب ..
ثم لأنه قد مر على ذلك زمن طويل ، وأختى قد ماتت بعد هذه
الحادثة بتسع سنوات .. لقد كانت أختى صغيرة ولطيفة .

لوقا : الحق أنك تستهتر بالحياة .. إن الحداد كان منذ لحظة بصرخ هنا

صراخا شديدا جدا ، لقد كان شيئا خيفا .

ساتن : من ؟ .. كلستش ؟

لوقا : نعم هو . لقد كان يصبح : لا عمل .. لا شيء الا شيء ا ،

ساتن : سوف يتعود على الأمر .. والآن إلى أنساءل ماذا سأفعل بنفسى ؟

لوقا (بهدهوء) : انظر ، ها هو ذا آت (يدخل كلستش ببطء مطأطأ الرأس) .

ساتن : هيه أيها الأرمل ! لماذا تستسلم للحزن ؟ .. ماذا فى رأسك ؟

كلستش : إلى أحاول التفكير فى الذى سأفعله بعد أن فقدت أدوات عملى .. لقد ابتلعت الجنازة كل شيء .

ساتن : خذها منى نصيحة ، لا تفعل شيئا .. دع نفسك لتصبح عالة على الدنيا بأوسع معانيها !

كلستش : أنت وهذرك .. إلى أنجبل من الناس .

ساتن : انس ذلك .. فالناس لا ينجحون من تركك تعيش فى

حال أسوأ من الكلب . فكر فيما يحدث لو توقفت أنت وأنا ومئات وآلاف غيرنا عن العمل .. الجميع هل تفهم ؟ .. إذا

ما امتنع الجميع عن القيام بأى عمل فإذا سيحدث إذن ؟

كلستش : سيموت الكل من الجوع .

لوقا (لساتن) : يجب أن تنضم بأفكارك هذه إلى جماعة الهاريين ..
هناك فرقة دينية بهذا الاسم .

ساتن : أعلم . لأنهم ليسوا مجانين أيها الجدد .

(يسمع صياح ناتاشا من نافذة آل كستليوف) .

ناتاشا : ماذني ؟ .. أرجوك .. أرجوك .. ماذا فعلت ؟

لوقا (مذعورا) : صوت كهوت ناتاشا .. أوه يارب !

(يسمع ضجيج وصراخ وأصوات أطباق تتحطم

صادرة من مسكن كستليوف) .

كستليوف (من خارج المسرح) : يا كافرة .. يا فاجرة .

فاسيلي (من خارج المسرح) : انتظر حتى أقيدها .

ناتاشا (من خارج المسرح) : لأنهم يضربونني .. لأنهم يقتلونني !

ساتن (يصيح في النافذة) : هاى .. أنتم هناك !

لوقا (يتحرك حائرا هنا وهناك) : يجب أن ننادى فاسيلي -- أوه

يارب ! .. يا رفاق .. يا أصدقاء --

الممثل (وهو يجرى خارجا) : سأحضره --

بوينوف : لأنهم يضربونها الآن ضربا مبرحا --

ساتن : هيا بنا أيها العجوز .. وإلا كنا من الشهود .

لوقا (وهو يتبع ساتن) : أنا لا أصالح شاهدا -- لا .. لو أن

فاسيلي يحضر بسرعة . (يخرج ساتن ولوقا)

ناتاشا (من خارج المسرح) : فاسيليا ! .. أختي .. فاسيه —
بوربنوف : لقد كمموها .. سأذهب لأرى .

(تخفت الضجة الصادرة من مسكن كستليوف منتقلة من
الحجرة التي بها النافذة إلى الداخل . يسمع صوت لوقا
وهو يصيح : « كفى ! كفى ! » .. يرتفع صوت قوى
لإغلاق باب بعنف فيقطع كل الضجيج كأنه
فأس .. كل شيء هادئ على المسرح .. ضوء الشفق
يغمر المكان) .

كلستش (جالسا بغير مبالاة على مركبة الثلج المقلوبة بفرك يديه بشدة
ثم يبدأ في غمغمة غير واضحة في بادئ الأمر) : ما العمل
الآن؟ على أن أعيش ... (رافعا صوته) يجب أن يكون لي
مكان أعيش فيه .. أليس كذلك؟ وليس لدى هذا المكان .. ليس
لدى شيء . أنا لا أملك سوى نفسي .. مجرد مخلوق وحيد
لا يجد هوتا من أحد . (يخرج متساقلا مقوس الظهر . تمر
لحظات سكون مريرة .. ثم تسمع ضجة خافتة مختلطة آتية من
مكان بالممر ثم تأخذ في العلو والإقتراب حتى يمكن تمييز
أصوات الأشخاص خارج المسرح) .

فاسيليا : أنا أختها ! دعني !

كستليوف : بأى حق تتدخل ؟

فاسيليا : يا طريد السجون !

ساتن : ناد فاسيلي حالا ! أحكم الضرب يا جويتر !
(يسمع صوت صفارة بوليس ويندفع التتري داخلا
ويده اليمنى مربوطة إلى رقبته) .

التتري : أى قانون هذا .. جريمة قتل في وضوح النهار ! (يدخل جويتر
ويشبعه مدفديف) .

جويتر : آه ، لقد ضربته ضربة شديدة حقاً !

مدفديف : كيف تجرؤ على ضرب الناس ؟

التتري : وأنت ؟ ما هو واجبك ؟

مدفديف (يجرى خلف جويتر) : قف .. أهدأ صفارتى . (يدخل
كستليوف وهو يجرى) .

كستليوف : مدفديف ! أمسكه — اقبض عليه !

(تدخل كفاشنيا وناستيا من عند الناصية وهما تسندان
ناتاشا التي تبدو مشعثة الشعر والملابس . ويتبعن
ساتن داخلا بظهره وهو يقاوم فاسيليا التي تلوح
بيديها محاولة الوصول إلى ناتاشا وضربها . أليوشكا
يقفز بمرح مجنون حول فاسيليا وهو ينفخ صفارة
في أذنيها ويصيح ويصرخ ، وتندفع خلفهم مجموعة من
الرجال والنساء ممزق الثياب) .

ساتن (لفاسيليا) : إلى أين أنت ذاهبة أيتها البومة الناهقة ؟ —

فاسيليا : ابتعد عني يا طريد السجون ! إني سأمزقها إربا إربا ، ولو

كان في هذا هلاكى أنا كذلك !

كفأشنيا (وهي تدفع ناتاشا بعيدا) : اهدنى يا فاسيليا . يجب أن تخجلى من نفسك وتكفى عن التصرف كحيوان مفترس .

مدفديف (وهو يمسك بساتن) : وأخيرا ، هاأنذا أمسكتك !

ساتن : جويتر ! أعطها لهم فاسيلي ! .. يا فاسيلي ! (تقاد ناتاشا إلى كومة الأخشاب حيث تجلس بينما يتجمع الآخرون قرب الممر مستندين إلى الحائط الأحمر .. يندفع فاسيلي من الممر شاقا طريقه بذراعيه خلال الجمع في سكون وقوة) .

فاسيلي : أين ناتاشا ؟ آه إنه أنت - (ينسحب كستليوف إلى ما وراء الناصية) .

كستليوف (من خارج المسرح) : مدفديف ! اقبض على فاسيلي ! يا جماعة ساعدوه في القبض على فاسيلي ! فهو لص نشال .

فاسيلي : آه ، أيها الجدى العجوز ! (يعمل فاسيلي الضرب في كستليوف بقبضة يده فيسقط الأخير على الأرض بحيث لا يظهر على المسرح سوى نصفه الأعلى . يندفع فاسيلي نحو ناتاشا)

فاسيليا : اصنعوا شيئا لفاسيلي ! أنتم كلكم أيها الناس الطيبون ، اضربوه . هذا اللص القذر !

مدفديف (يصيح في ساتن) : لا تتدخل فيما لا يعنيك ! إنها مسألة عائلية ! وكلهم أقارب - فادخلك أنت ؟ فن أنت ؟

فاسيلي : ماذا فعلت بك ؟ هل طعننتك بسكين ؟

كفاشنيا : انظر ماذا فعل الوحوش - لقد أحرقوا قدمي الفتاة بالماء المغلي.

ناستيا : لقد صبوا لإبريق الشاي عليها .

التري : ربما وقع الإبريق عليها عفوا — يجب أن تتأكدي . يجب ألا تتحدثي بما لا تعرفين .

ناتاشا (وهي على وشك الإغماء) : خذني يافاسيلي ... اخفي —

فاسيليا : يا لله ! انظروا لقد مات . لقد قتلوه —

(يتجمع الموجودون حول كستيلاف في الممر ، ثم يترك

بوينوف الجميع ويتجه نحو فاسيلي)

بوينوف (في صوت منخفض) : اسمع يافاسيلي . إن الرجل العجوز —

أنت تفهم — قد مات .

فاسيلي (ينظر إلى بوينوف دون أن يفهم خرفا عما قال) : اذهب وناد

من يأخذها إلى المستشفى — وسأعرف أنا كيف أتصرف معهم

بوينوف : لقد كنت أقول لك إن العجوز قد قتل —

(تتلاشى الضجة على المسرح كما تخمد النار يلقى عليها

بالماء ، وتسمع أصوات تعجب تصدر بين حين وآخر

في طبقة صوتية منخفضة : « أحقا ؟ ، « هل علمت ؟ ، « وبعد ،

« فلنبتعد من هنا ، « أوه ! . يا للشيطان ! ، « والآن لتأخذ

حذرك ! ، « ثم يتضاءل عدد الموجودين شيئا فشيئا ...

يندفع بوبنوف والتري وناستيا وكفاشنيا نحو
جثة كستليوف .)

فاسيليا (تقوم من على الأرض وتصرخ) : لقد قتلوه ! ..
قتلوا زوجي ! (في صوت ظافر) ها هو ذا القاتل . فاسيلي هو
الذي قتله . لقد رأيته يقتله .. أيها الناس الطيبون ، لقد رأيته
بعيني رأسي .. وبعد يا فاسيلي ؟ ما الذي ستقوله للبوليس ؟

فاسيلي (يترك ناتاشا) : ابتعدى عن طريقى ! (يحدق في جثة القتيل
ثم يوجه الكلام إلى فاسيليا) وبعد ألسنت سعيدة ؟ (يركل
الجثة بقدمه) لقد نفق الخنزير العجوز ! وحصلت على أميتك .
أليس الأفضل أن أقضى عليك أيضا ! (يندفع نحوها ولكن
ساتن وجووتر يمنعه به بسرعة . تفر فاسيليا إلى الممر)
ساتن : عد إلى رشذك .

جووتر : هو ! إلى أين أنت مندفع ؟ (تعود فاسيليا)
فاسيليا : والآن ما قولك يا صديق العزيز فاسيلي ؟ إن الإنسان لا يستطيع
الإفلات من القدر . ناد مغنش البوليس يا مدفديف ! انفخ
صفارتك !

مدفديف : لقد سرقها هؤلاء الفجرة !
ألبوشكا : ها هي ذى . (ينفخ في الصفارة . مدفديف يجرى خلفه .)
ساتن : (يقود فاسيلي نحو ناتاشا) : لا تخف يا فاسيلي ! فقتل رجل
أثناء شجار ليس بالشئ الخطير ولا يكلف كثيرا .

- فاسيليا : اقبضوا على فاسيلي ! إنه القاتل .. لقد رأيته وهو يقتله !
- ساتن : لقد لكمت العجوز عدة لكلمات أنا نفسي ... وهو لم يكن محتاجا إلى جهد كبير ليقتضى ... اطلبنى شاهدا يا فاسيلي .
- فاسيلي : لست في حاجة إلى شهود .. إن كل ما أريد هو إقحام فاسيليا في الجريمة ، وإني لفاعل هذا . فهي التي سمعت إلى كل هذا وكانت تعرضني دائما على قتل زوجها !
- ناتاشا : (فجأة وبصوت مرتفع) : أوه ، الآن فهمت كل شيء .. إذن فهذه هي الحكاية يا فاسيلي ؟ ... ما أطيبكم ! إنها مشتركان في الأمر معا هو وشقيقتي دبرا كل هذا . أليس كذلك يا فاسيلي ؟ وما تكلمت معي اليوم بهذا الأسلوب إلا لتسمع هي كل شيء .. ما أكرمكما ! .. إنها عشيقته ... كلكم تعلمون هذا - كل الناس يعرفونه ، وكلاهما مذنب ! فهي التي حرضت على قتل زوجها ... لأنه كان عقبة في طريقها . وكذلك كنت أنا أيضا .. ولهذا اشوهوني وآذوني -
- فاسيلي : ناتاشا - ماذا تقولين ؟
- ساتن : بالشقاء .
- فاسيليا : كذابة ! إنها تختلق - أنا - إنه هو وحده ، فاسيلي - هو الذي قتله !
- ناتاشا : إنها شريكنا معا ! إني ألعنكما ألعنكما معا
- ساتن : هذه الأحداث احترس يا فاسيلي فستكون أنت الضحية في النهاية .

جويتر : هذا أكثر مما أستطيع فهمه .. يا إله السموات ، يا لها من مشكلة !
فاسيلي : أحقا تعنين ما قلته ياناتاشا ؟ - هل تعتقدين حقاً أني
ولياها -

ساتن : فكرى جيداً ياناتاشا الطيبة -
فاسيليا (في الممر) : لقد قتل زوجي أيها السيد .. فاسيلي اللص هو
الذي قتله أيها المفتش . لقد رأيته وكلهم رأوه -
ناتاشا (تتحرك في المكان كالتائهة وهي في شبه غيبوبة) : أيها الناس
الكرام ! لقد قتلته أختي وفاسيلي . استمع إلى أيها المفتش !
هذه المرأة ، شقيقتي علت - وحرضت - عشيقها - هذا
الرجل الملعون هناك - وقتل الرجل معاً ! اقْبضُوا عليها -
حاكوهما . وخذوني أنا ايضاً - خذوني إلى السجن ! استحلفكم
بالله خذوني إلى السجن !

« ستار »

الفصل الرابع

[نفس منظر الفصل الأول غير أن الحواجز التي كانت تكون حجرة فاسيلي قد رفعت فلم يعد للحجرة وجود . التترى مستلق في مكانها وقد ظهرت عليه أمارات القلق فهو يئن بين آن وآخر . كما رفعت كتلة الخشب التي كانت عليها المطرقة حيث كان كلستش يعمل . كلستش جالس إلى المائدة يصلح ، أكورديون ، ويحاول عزف السلم الموسيقي . يجلس إلى الطرف الآخر من المائدة ساتن والبارون وناستيا وأمامهم زجاجة بودكا ، وثلاث زجاجات من الجعة ، وقطعة كبيرة من الخبز الأسمر . أما الممثل فقد أعتلى القرن ويسمع وهو يتحرك ويسعل .

الوقت مساء والمكان مضاء بمصباح غازي موضوع في وسط المائدة . الريح تصفر في الخارج .]

كلستش : نعم ، لقد هرب وسط تلك الفوضى .

البارون : اختفى من البوليس كما يفر الدخان من النار .

ساتن : هكذا يختنى المذنبون من وجه العدالة .

ناستيا : لقد كان العجوز طيبا . أما أنتم فلستم رجالا ، إنكم مجرد عفن !

البارون (يشرب) : في صحتك يا صاحبة العصمة !

ساتن : نعم لقد كان شيخا طريفا حقا وقد وقعت ناستيا في غرامه حتى

أذنيها !

- ناستيا : نعم لقد أحببته ، ولن أنكر هذا .. فقد كان يرى .. وكان يفهم كل شيء .
- ساتن (ضاحكا) : والخلاصة أنه كان لبعض الناس كالحبذ اللين بالنسبة للآهت .
- البارون (ضاحكا) : أو كالأضداد بالنسبة للجرح .
- كلستش : لقد كان يشفق على الناس ، أما أنتم فلا شفقة في قلوبكم .
- ساتن : وماذا يفيدك لإشفاقي عليك ؟
- كلستش : إذا أنت لم تستطع الإشفاق على شخص فأنت قادر على إيذائه .
- التتري (يجلس على فراشه ويهدد ذراعه المجروحة كما لو كانت طفلا) : لقد كان العجوز طيبا يسيطر حب القانون على روحه .. ومن كان هذا شأنه فهو طيب .. أما من فقد حب القانون فهو ضائع .
- البارون : أى قانون يا حسن ؟
- التتري : قانون من نوع آخر . إنك تعلم أى قانون هو .
- البازون : أكل .
- التتري : ألا تؤذى مخلوقا .. هذا هو القانون !
- ساتن : إنه يسمى « قانون العقوبات الجنائية والإصلاحية » ،
- البارون : وهو يسمى كذلك « قانون العقوبات الذى ينفذه حفاظ الأمن » .
- التتري : إنه يسمى القرآن بالنسبة الى .. أما قرآنكم فيسمى القانون ..
- يجب أن يكون فى كل روح نوع من القرآن .. نعم .
- كلستش (وهو يحرب الأكورديون) : عليه لعنة الله ، انظروا إليه كيف

يصفر . إن حسن على حق إذ يجب علينا أن نحيا حسب القانون ..
حسب الأناجيل —

ساتن : افعل أنت ذلك .

البارون : نعم ، حاول أنت ذلك .

التترى : لما بعث محمد بالقرآن قال للناس : « هذا هو القانون انفذوا تعاليمه ،
ثم تقدم الزمن وأصبحت الكتب السبائية غير كافية في نظر بعض
الناس .. سيظهر قانون جديد .. كل عصر جديد سي—عطي قانونه
الخاص .

ساتن : هذا حق .. لقد تقدم الزمن وأعطانا قانون العقوبات ، وهو
قانون قوى لن يبلى بسرعة .

ناستيا : (تضرب المائدة بكأسها) : لماذا أستمع في الحياة معكم ... هنا ؟ إنى
سأرحل ... سأرحل إلى أى مكان .. إلى نهاية العالم !

البارون : وهل سترحلين بدون حذاء يا صاحبة العصمة ؟

ناستيا : سأرحل ولو كنت عارية تماما ! ولو اضطرت للزحف على أربع !

البارون : سيكون هذا منظرأ لطيفا يا صاحبة العصمة ... وخاصة وأنت
على أربع .

ناستيا : نعم إنى راغبة في الزحف مسافة تكفى لثلاث أرى وجوهكم بعد
ذلك .. لقد اشمازت نفسى من كل شيء .. من الحياة كلها .. من
الناس أجمعين !

ساتن : عند رحيلك خذى الممثل معك ، فهو يستعد للرحيل هناك

كذلك . فقد ترامى إلى عليه أنه على بعد نصف ميل من نهاية

العالم يوجد مستشفى يعالج الذين تسمم تركيبيهم .

الممثل : (يبرز رأسه من فوق القرن) : أعضاءهم يأحق !

ساتن : تعالج الذين تسمم تركيبيهم من الكحول .

الممثل : ولأنه لراحل ! نعم راحل .. فقط انتظر قليلا !

ساتن : من هو ياسيدى ؟

الممثل : أنا !

البارون : شكراً يا خادم الربة ... ما اسمها ؟ ... ربة الدراما ، ربة الترجيديا

ماذا كان اسمها ؟

الممثل : إلهة باغبي ! إنها إلهة وليست ربة .

ساتن : لاخييس ... هيرا ... أفروديت ... أتروپوس — الشيطان

وحده يعلم أيها . هل ترى الذى فعله العجوز يا بارون ؟ إنه هو

الذى أوصل الممثل الى هذه الحالة .

البارون : إن العجوز مغفل كبير —

الممثل : إنكم وحوش إنكم جهلاء وملبوسمينية ، يا إلهة الترجيديا ! إنكم أغبياء !

إنه لراحل وسترون ، ادعى أيها العقول الغبية ، هذا من قصيدة

للشاعر « بيراجير » — نعم سيجد لنفسه مكانا ليس فيه .. ليس فيه —

البارون : ليس فيه شيء ؟

الممثل : نعم لاشيء ! هذا الحجر سيكون قبرى .. إلى أموت من المرض

والضعف ! لماذا تعيشون ؟ .. لماذا ؟

البارون : أنت يا داموند كين ! يا عبقرى السكر .. كف عن هذا النواح

الممثل : ولكنى لن أكف عن النواح على حياتكم ! سأفوح !
 ناستيا : (ترفع رأسها عن المائدة وتبسط ذراعيها) : نوح كما تريد ! نوح
 حتى يسمعوك !

البارون : وما الحكمة فى هذا يا صاحبة العصمة ؟
 ساتن : اتركها يا بارون ! ليدها إلى الجحيم ! ولينوحا كما يشاء ! وإيشجا
 وأسيهما ! فى هذا حكمة كبيرة ! ابتعد عن طريق الناس كما كانت
 العجوز يقول . آه لقد كان كالحخيرة ينفس جماعتنا هنا ...

كلستش : حشهم على الرحيل إلى مكان ما ، ولكنه لم يرشدكم إلى الطريق .
 البارون : إن العجوز محتال .

ناستيا : كذاب ! إنك أنت المحتال .

البارون : صه .. يا صاحبة العصمة .

كلستش : لقد كان العجوز يكره الحقيقة ويتعنت ضدها .. وهو على حواب

فاذا تفيدنا الحقيقة إذا كنا ، حتى بدونها ، لانستطيع التنفس ؟ فهذا
 هو التترى كسرت ذراعه فى العمل وسوف يضطر إلى بترها على ما
 أعتمد .. أليس هذا إحدى الحقائق ؟

ساتن : (يضرب المائدة بقبضة يده) : كفى أيها الوحوش البلهاء ! كفاكم

حديثا عن العجوز ! (فى صوت أكثر هدوءا .) : إنك أسوأ الجميع

حالا يا بارون ، فأنت لا تفقه شيئا ... وتكذب . لم يكن

العجوز محتالا . ثم ماهى الحقيقة ؟ .. إن الحقيقة هى الإنسان نفسه !

لقد أدرك هو ذلك ، أما أنت فلا تفهم شيئا . إنك غبي مثل قالب

الطوب .. أما أنا فأفهم العجوز ، نعم أنا أفهمه .. لقد كان يكذب
لاشك ، ولكن كذبه كان شفقة منه عليكم .. عليكم لئنة الشيطان
أجمعين ! هناك عدد كبير من الناس يكذبون بدافع الشفقة على
الآخرين — أنا أعرف هذا — وقد قرأت عنه ، إنهم يكذبون
بطريقة جميلة ومثيرة وكأنهم ملهمون .. فهناك نوع من الكذب
يهدى ، ويجعل الإنسان يرضى بمصيره . فهو يبرر مثلاً ذلك الحمل
الثقيل الذى كسر ذراع العامل ، ويمنع الآخر من الاحتجاج على
الموت جوعاً — أنا أعرف أنواع الأكاذيب ! نوعان من
الرجال يحتاجان إلى الكذب ، ضعاف الروح ، وأولئك الذين
يعيشون من كد الآخرين ، فالضعاف يستمدون من الكذب
قوة ، أما المستغلون فهم يتخذون الكذب ستاراً لخداع غيرهم .
ولكن الرجل المستقل ، سيد نفسه ، الذى ليس عالة على أحد ..
هذا الرجل يستطيع أن يستغنى عن الكذب .. لأن الكذب
عقيدة العبيد والاسياد ، أما الصدق فهو لاله الرجل الحر .

البارون : برافو ! رائع ! .. إلى أوانفك .. إنك تتحدث وكأنك
رجل مهذب .

ساتن : ولماذا لا يتحدث الغشاشون أحياناً بلغة الشرفاء ؟ .. مادام الشرفاء
يتحدثون بلغة الغشاشين ؟ إليه ، لقد نسيت أشياء كثيرة ، ولكنى
لا أزال أذكر القليل . لقد كان للعجوز عقل راجح وكان له على
تأثير الحامض فى قطعة البقرود القديمة القدرة . لتشرب نخب صحته
أملأى الكشوس ..

(تملاً ناستيا كلياً من الجعة وتناولها لسان الذي يواصل حديثه مبتسماً)
ساتن : لقد كان العجوز يعيش من داخل نفسه ، وينظر إلى كل شيء خلال

نفسه . • سألت : مرة « لماذا يعيش الناس أيها الجد ؟ » (يحاول
تقليد صوت لوقا وطريقته في الحديث) « يعيشون في انتظار
حدوث شيء أفضل يا صاحبي ؛ خذ النجارين مثلاً ، إنهم يعيشون
كلهم حياة قدرة تافهة ، ولكن سيأتي يوم يولد فيه نجار لم تشهد له
الأرض مثيلاً .. ليس له نظير ، فيغمر ضوؤه الجميع ، ويقب
صناعة النجارة رأساً على عقب فاذا بها تتقدم عشرين عاماً في
قفزة واحدة . وهذا شأن سائر الناس .. هذا شأن الحدادين وصانعي
الأحذية وغيرهم من العمال ... والفلاحين كذلك . وختي الأسياد
كلهم يعيشون في انتظار حدوث شيء أفضل .. يعيشون مائة عام ،
وربما أكثر من ذلك في انتظار ظهور رجل أفضل من حولهم .. »

(تمحق ناستيا في ساتن ويكف كاستش عن معالجة

« الأكورديون ، وينصت . ينقر البارون بأصابعه على المائدة
وقد أحنى رأسه على صدره . يحاول الممثل الهبوط بحذر
من فوق الفرش إلى الفراش المجاور .)

« الجميع ، الجميع يا صديقي يعيشون في انتظار حدوث شيء أفضل .
ولهذا وجب علينا أن نحترم كل إنسان . . . فمن يدري ماذا
يكن في هذا الرجل ؟ لماذا ولد ؟ وماذا يستطيع أن يفعل ؟ ربما
يكون قد ولد ليسعدنا جميعاً ويحمل حياتنا . وعلينا أن نحترم

الصغار بوجه خاص، فالصغار في حاجة إلى مجال فسيح . لا تعترضوا

سبيل حياتهم . بل كونوا رחماء بهم .

البارون (مفكر آ) : هيه .. في انتظار حدوث شيء أفضل ؟ إن هذا يذكرني

بأسرتنا، وهي أسيرة عريقة يرجع تاريخها إلى عهد الإمبراطورة العظيمة

« كاترين » . كانوا كلهم نبلاء ورجال حرب أجهل أجدادهم من

فرنسا ، وخدموا الحكومة وظلوا يرتقون ويرتقون . وقد وصل

جدي « جوستاف ديبل » إلى منصب خطير في عهد الإمبراطور

نيقولا الأول .. وكانت لدينا ثروة طائلة ، ومئات من العبيد ...

والخيل ... والطهارة —

ناستيا : كذاب ! لم يكن هناك شيء من هذا !

البارون (يهز واقفا) : ماذا ؟ ! وبعد — ؟

ناستيا : لم يكن هناك شيء !

البارون (صائحا) : قصر في موسكو أو آخر في سانت بطرسبورج أو عرصات

عليها شارة الأسرة ،

(يأخذ كلستش « الأكورديون » ، وينتحي جانبا ليراقب ما يدور حوله)

ناستيا : لم يكن هناك شيء !

البارون : أخرى ! وعشرات من الخدم والجواري

ناستيا (متشفية) : لم يكن هناك شيء !

البارون : سأقتلك .

ناستيا (مستعدة للهرب) : ولا عربة واحدة !

ساتن : كفى ياناستيا ! لا تغيظيه .

البارون : انتظري ... أيتها الحقيرة ! لقد كان جدى —

ناستيا : ولم يكن هناك جد ! لم يكن هناك شيء على الإطلاق !

(يضحك ساتن)

البارون : يجلس على المقعد الطويل مجهداً من انفعالاته المتتالية وصياحه :

ساتن، قل لهذه الفاجرة ... إنك تضحك أنت أيضاً ؟ حتى أنت

لا تصدقنى ؟ (يضرب المائدة بقبضة يده صائحاً فى يأس) لقد كان

هناك كل ما قلته ... عليكم لعنة الشيطان !

ناستيا : (بانتصار) : أها، إنك تصرخ الآن ؟ هل تفهم، الآن كيف يتألم

الإنسان حيناً لا يصدقه من حوله ؟

كلستش (وهو يعود إلى المائدة) : لقد ظننت أنه ستحدث معركة .

التترى : آه — آه ، ما أغبي، الناس، إنهم أشرار .

البارون : أنا لا أسمع لأحد ياهاتى ! قلدى إثباتات ... وثائق .. لعنة

الله عليها !

ساتن : احتفظ بها لنفسك ! وانس كل ما يتعلق بعربات جدك ...

فعربات الماضى لن توصلك الآن إلى أى مكان .

البارون : ولكن كيف تجسر على ؟ —

ناستيا : تصوروا ! كيف أجسر أنا !

ساتن : أنت، إنها قد تجاوزت بالفعل . إنها ليست أسوأ منك حالا ؟

بالرغم من أنه لم يكن لها فى ماضيها ، بالتأكيد — لاعربات ولا

- جد ، ولا حتى أب وأم .
- البارون (وقد بدأ يهدأ) : لعنة الله عليك .. إنك تستطيع أن تفكر يهود .
- أما أنا فيبدو أنه ليست لدى أية شخصية .
- ساتن : اتبع لنفسك واحدة ، فهى مفيدة (فقرة من الصمت) هل ذهبت إلى المستشفى يا ناستيا ؟
- ناستيا : لماذا ؟
- ساتن : لتزورى ناتاشا ؟
- ناستيا : ألم يفت أوان هذا السؤال ؟ .. لقد غادرت ناتاشا المستشفى منذ مدة طويلة . غادرتها .. واختفت . ولم يرها أحد بعد ذلك فى أى مكان .
- ساتن : لابه أنها تبخرت .. اندثرت .
- كلستش : كم هو لطيف أن ترى من الذى سيدمر زميله ، أهو فاسيل الذى سيودى بفاسيليا أم العكس ..
- ناستيا : ستعرف فاسيليا كيف تنجو بنفسها — إنها ماهرة .. أما فاسيل فيذهب إلى سيريا .
- ساتن : إن عقوبة القتل أثناء العراك هى السجن فقط .
- ناستيا : هذا مؤسف ، فإن سيريا تلاميذ أكثر من السجن . إنى أتمنى أن تشحنوا جميعا إلى سيريا .. أو أن يلقي بكم فى جحر كالفاذورات .
- ساتن (فزعا) : هل جننت ؟
- البارون : إنى سأدعى أنقى - لو قاحتها .

- ناستيا : حاول . . . المسنى فقط .
- البارون : سأفعل بكل تأكيد .
- سان : اتركها . لا تلمسها . لا تحاول إيذاء إنسان . إنى لا أستطيع إبعاد ذلك العجوز وأفكاره من رأسى (يضحك) لا تؤذ أى إنسان ! ولكنى أوديت ذات مرة ، أوديت بضربة واحدة تركت أثرها فى حياتى كلها ! فماذا يجب على أن أفعل ؟ هل أصفح ؟ لا ، ولو قدمت حياتك ثمنها لها ! أبداً !
- البارون (مخاطباً ناستيا) : يجب أن تفهم جيداً أنك لست من مستواى . إنك .. إنك قذارة تحت قدمى .
- ناستيا : أيها المخلوق التسافه الذى لا يصلح لشيء ! ماذا ؟ إنك تعيش 'عالة على كما تعيش الدودة على التفاحة . (ينفجر الرجال جميعاً ضاحكين)
- كلستش : تقاحة صغيرة جميلة ! آم يالك من خبيثة .
- البارون : ليس فى إمكان أحد مخاصمة هذه البلهاء !
- ناستيا : أنضحك ! أيها المنافق ! هل تظن أن فى الأمر ما يضحك ؟
- الممثل (فى وقار) : أعطهم ما يستحقونه من إهانات وشتمائم .
- ناستيا : لو كان لدى القوة لحطمتكم جميعاً هكذا (تمسك بكوب من على المائدة وتحطمه على الأرض) .
- التترى : ولماذا تحطمين الكوب ؟ ما أغباك !
- البارون (ناهضاً) : سأعلمها الأدب !
- ناستيا (تجرى ناحية باب الردهة) : لتذهب إلى الجحيم .

- ساتن (لناستيا) : هاى ؟ كفى جريا ! بمن تخافين ؟ وفيم كل هذا ؟
 ناستيا : ووحوش ! إني أتمنى موتكم جميعا ! أيها الوحوش ! (تختفي في الردهة)
 الممثل (بوقار) : آمين .
 التترى : أوه ! إن المرأة الروسية شريرة ! متحررة أكثر من اللازم ! وليس هناك ما يوقفها عند حدها ! أما المرأة التترية فعلى العكس من ذلك ! إنها تعرف القانون وتحترمه .
 كلستش : إنها في حاجة إلى علة حامية .
 البارون : يا لها من كلبه !
 كلستش (يجرب ألا كورديون) : لقد انتهيت من إصلاحه ولكن لا أثر لصاحبه لهله وقع في مشكلة جديدة .
 ساتن : خذ كأسا .
 كلستش : شكراً ! ولقد حان وقت النوم كذلك .
 ساتن : هل أخذت تألفنا ؟
 كلستش (يجرع الكأس وينذهب إلى فراشه في الركن) : لا بأس فأناس متشابهون في كل مكان ، في بادىء الأمر لا تلاحظ ذلك ، ثم تنظر إليهم جيداً فاذا بهم كبقية الناس لا يختلفون عنهم في شيء .
 (يفرش التترى ثوبا على فراشه ويركع ثم يبدأ في الصلاة)
 البارون (يتخاطب ساتن مشيراً إلى التترى) : انظر .
 ساتن : دعه وشأنه . إنه مخلوق طيب (يضحك) تعزىني اليوم نوبة من الطيبة ، الشيطان وحده يعلم سببها .

البارون : إنك دائما طيب حينما تسكر .. طيب وذكى .

ساتن : حينما أسكر أحب كل شيء . نعم ياسيدى . أهو يصلى ؟ حسنا .

للإنسان أن يؤمن أو يكفر ، فهذا شأنه وحده . إن الإنسان حر
فيا يفعل ... وهو نفسه الذى يدفع الثمن . ثمن الايمان وثمن

الكفر ، ثمن الحب و ثمن الذكاء ، وهذا هو سر حريته . الإنسان -

هذه هي الحقيقة . ما هو الإنسان ؟ إنه ليس أنت ولا أنا ولا هم ..

لا ، إنه أنت ، وأنا ، وهم والعجوز ، ونا بليون ، ومحمد . الكل فى واحد .

(يخطط بيدية فى الهواء شكل إنسان) أفاهم أنت ؟ إنه شيء هائل !

فيه كل البدايات وكل النهايات . كل شيء موجود فى الإنسان ، وكل

شيء موجود من أجل الإنسان . لا موجود إلا الإنسان ، وكل

ماعداه فمن صنع يديه وعقله . الإنسان ! ما أروع ! فى اسمه رنة

زهو عجيبة ! الإنسان ! يجب أن نحترم الانسان لا أن نشفق عليه

أو نخط من قدره .. أن نحترمه ، هذا هو واجبنا . فلنشرب نخب

الانسان يا بارون ! (ينهض) ما أجل أن يشعر الواحد منا بأنه

إنسان . أنا سجين قديم وقاتل وغشاش ... هذا كله صحيح .

وحينما أسير فى الشارع ينظر الناس إلى نظهرهم إلى شيء شاذ ..

يتقدموننى ثم يديرون نظهرهم إلى ... وكثيراً ما يقولون لى :

« يا جرم يا نصاب ! اشتغل ! ، اشتغل لماذا ؟ لأحصل على مطالب جسمى

وأشعر بالرضى ؟ (يضحك) أنا دائماً أحتقر من غاياتهم الأولى فى

الحياة هي الشعور بالرضى . إن كل هذا لا قيمة له يا بارون ..

لا قيمة له ! فالإنسان أسى من هذا ! الإنسان أسى من الرضى !

البارون (هاذا رأسه) : إنك تستطيع أن تفكر تفكيراً منطقياً . وهذا شيء جميل . . لا بد أنه يشرح صدرك . أما أنا فلا أستطيع أن أفعل ذلك .. لا أستطيع التفكير المنظم (ينظر حوله ثم يتحدث في صوت خافت وبخدر) هل تعلم يا صديقي العزيز أنني أشعر بالفزع أحيانا؟ أشعر بالذعر ؟ لأنه ماذا سيكون مصيري ؟

ساتن (يسير جيئةً وذهاباً) : هراء ، ما الذي يخيف الإنسان ؟

البارون : اسمع ، منذ أذكر نفسي وأنا أشعر بنوع من الضباب يثقل رأسي ويمنعني من تفهم أي شيء . ولدي إحساس أخرق كأنني لم أفعل شيئاً في حياتي كلها سوى تغيير ملابس . ولكن لماذا ؟ هذا ما لا أستطيع معرفته . لقد تعلمت ، وارتديت ملابس كلية النبلاء — ولكن ماذا تعلمت ؟ لا أذكر . ثم تزوجت . . امرأة غير صالحة وارتديت ملابس العرس السوداء ثم ذرواها فضاها — لماذا ؟ لا أعلم : ثم اضعت ثروتي واضطرت إلى ارتداء سترة مادية قديمة وسراويل باهتة — ولكن كيف أفعلت ؟ لم ألاحظ هذا . ثم حصلت على وظيفة حكومية وارتديت زياً رسمياً وقبعة عليها شارة خاصة — ثم اختلست أموال الحكومة فوضعوا على جسدي ملابس السجن . وأخيراً لبست هذه . حدث كل ذلك كأنني في حلم . أليس ذلك غريباً ؟

ساتن : إنه سخيف أكثر منه غريباً .

البارون : نعم . . أنا كذلك أرى أنه سخيف لا بد أن يكون هناك سبب ولدت من أجله — ألا تعتقد ذلك ؟

ساتن (ضاحكاً) : من المحتمل ، فالإنسان يولد لينتظر حدوث شيء

أفضل . (يهز رأسه)

البارون : أين ذهبت ناستيا هذه ؟ خير أن أذهب وأبحث عنها ؛ فهي على كل

حال — (يخرج فترة من الصمت)

الممثل : يا تترى (فترة من الصمت) يا حسن . (يلتفت التترى إليه)

صل ... من أجل .

التترى : ماذا ؟

الممثل (في صوت أكثر انخفاضاً) : صل .. من أجل .

التترى (بعد فترة صمت) : صل أنت .

الممثل (ينزل مسرعاً من على القرن ويسير إلى المائدة ويصب لنفسه

كأساً من الفودكا بيد مرتعشة ويجريها ثم يسرع إلى الردهة وهو يكاد يجرى) : إني ذاهب .

ساتن : هاى .. إياها المغفل إلى أين أنت ذاهب ؟ (يصفر)

(يدخل مدفديف مرتدياً سترة نسائية مضرّبة كاللحاف)

ومعه بوبنوف وقد ظهرت عليها علامات سكر خفيف .

يحمل بوبنوف ربطة من العكك في إحدى يديه وفي

الأخرى كمية من السمك المدخن . وقد وضع تحت ذراعه

زجاجة فودكا بينما ظهرت زجاجة أخرى من جيبه .

مدفديف : إن الجمل نوع من ... الخمر ولكن بدون اذنين .

بوبنوف : دعك من هذا .. فأنت نفسك من نوع الخمر .

مدفديف : الجمل ليست له اذانان ... وهو يسمع بمنخره .

بوينوف (لسان) : يا صديقي لقد كنت أبحث عنك في جميع الحانات . خذ زجاجة فيدای مثلثتان .

ساتن : ضاع الكعك على المائدة وبذلك تغلو إحدى يديك .

بوينوف : يا لها من فكرة ! يا سلام ! انظر أيها الشرطي — هاك رجلا ذكيا — أليس كذلك ؟

مدفدیف : المجرمون كلهم أذكىاء ... أنا أعرف هذا . إنهم لا يستطيعون العمل بدون عقول . أما الرجل الطيب فقد يكون غبيا ومع ذلك يظل طيبا ، ولكن الرجل الشرير يجب أن يكون ذكيا — بالتأكيد . أما عن الجمل فأنت مخطيء فهو دابة من دواب الحل ولا قرون له . ولا أسنان —

بوينوف : أين الجميع ؟ لم لا يوجد هنا أى انسان ؟ هاى — أتم اظهروا ! أتم جميعا ضيوفى من الذى هناك فى الركن ؟

ساتن : متى سينفذ ما معك من نقود فى السكر يا فظيخ ؟

بوينوف : حالا . فقد ادخرت هذه المرة مبلغا صغيرا . جويترا ! أين جويترا ؟ كلستش (سائرا إلى المائدة) : لقد خرج .

بوينوف . بر .. ردا فيدو ! برلين - برلين - برلين ! أيها الديك الرومى لا تلجأ لاتكاكى ! اشربوا واستمتعوا اخرجوا من أحزانكم ! إني أدعوك جميعا ! أنا أحب دعوة الناس . لو كنت غنيا لافتمحت حانة مجانية — هل تراهنون انى كنت افعل ذلك ؟ وكنت أزودها بفرقة موسيقيه ومغنين وأسمح للجميع بدخلوها ليشربوا ويستمتعوا للأغاني — ويرفها عن أنفسهم ، وكنت إذرا أيت رجلا

فقيرا دعوته إلى حاتى المجانية ! وأنت ياساتن كنت أجعلك -
كنت أعطيك نصف ثروتي كلها فى ذلك الوقت !
ساتن : أعطنى كل مامعك الآن .

بونوف : كل ثروتي الآن ؟ خذها . هاك روبلا - وهذا ربع -
وهذه بعض كوبكات - هذا كل مامعى !

ساتن : هذا جميل .. فستكون أكثر أمانا معى .. سأقامر بها .
مدفدیف : أنا شاهد ... لقد أعطاك النقود كأمانة ... حتى متى ؟
بونوف : أنت ؟ إنك بعير . لسنا فى حاجة إلى شهود .
(يدخل أليوشكا حافى القدمين)

أليوشكا : لقد ابتلت قدمائى يا أصدقاء .

بونوف : تعال ! بلل صفارتك أيضا ! فهذا سيصلح حالك يا صديقى
العزیز ... إنك تغنى وتعزف .. هذا بديع ... ، ولكن يجب
ألا تشرب فالخمر مضره بالإنسان يا عزیزى . حقا إنها مضره .
أليوشكا : إن النظر إليك يؤيد قولك . فأنت لا تبدو إنسانا إلا عندما
تكون سكران . هل أصلحت لى ، الا كورديون ، يا كلستش - ؟
(يغنى وهو يرقص)

و لو لم تكن سحنتى تروق الناظرين

لما كانت فتاتى ظريفة معى هكذا ..

إنى أرتعش يا أولاد . فالجو بارد جدا

مدفدیف : هيه ! هل لى أن أسأل من فتاتك هذه ؟

بوبنوف : اتركه وشأنه ، فلم يعد الآن من الشرطة يا صديقى . لقد انتهى كل شيء ، ولم تعد لا شرطيا ولا عما .

اليوشكا : لقد أصبحت زوج الحفالة كفاشنيا ليس إلا .

بوبنوف : نعم ، فأحدى بنات أخيك فى السجن والآخرى تموت .

مدفديف (محتدأ) : كذاب إنها لا تموت .. إنها مفقودة ! (يضحك سائت)

بوبنوف : نفس الشيء يا أخ ، فالإنسان لا يكون عما دون بنات أخ .

اليوشكا : يا صاحب السعادة (يغنى)

وفتاتى معها نقود وأنا ليس معى ملين

ولكنى قى مرح ، وهذا رأى

الفتيات كذلك !

أما لهذا البرد !!

(يدخل جويتر ، وبين وقت وآخر حتى نهاية الفصل

يدخل أشخاص آخرون ، رجال ونساء ، يخلعون

ملابسهم استعداداً للنوم ثم يستلقون على فرشهم

وهم يتمتمون لأنفسهم .)

جويتر : بوبنوف ! لماذا هربت ؟

بوبنوف : تعال هنا ! اجلس . والآن فلنغن أغنيتى المفضلة .. أنت

تعرفها .. هيه ؟

التبرى : لقد جعل الليل للنوم . غنوا بالنهار .

ساتن : لا بأس يا حسن ! تعال هنا !
التري : لا بأس ؟ كيف هذا ؟ . إنكم ستحدثون ضجة حينما تغنون .
بوبنوف (ذاهبا إلى التري) : كيف حال ذراعك يا حسن ؟ هل بتروها لك ؟
التري : ولماذا يبترونها ؟ إني أنتظر فلعلهم لا يجحدون ضرورة لذلك ،
فذراع الإنسان ليقتطع قطعة من الحديد حتى تتسرع في بترها .
جويتر : إنك في حالة يرثى لها يا حسن ، فبدون ذراعك لن تصلح لشيء
فأمثالنا كل قيمتهم في أيديهم وظهورهم . وبدون يد لا يكون
للرجل وجود . حقا إن حالتك سيئة . تعال اشرب بعض
الفودكا .. وإلى الجحيم بكل شيء !

(تدخل كفاشنيا)

كفاشنيا : آه ، أهلا بسكاني الأعزاء ! أليس الجو رديئا في الخارج ؟ ..
برد ورطوبة ! هل شرطي هنا ؟ يا شرطي !
مدفديف : ها انذا .

كفاشنيا : لبست سترتي مرة أخرى ؟ يبدو من منظرها ... إنك مخمور
بعض الشيء ، أليس كذلك ؟ كيف حدث هذا ؟

مدفديف : بمناسبة عيد ميلاده ، عيد ميلاد بوبنوف .. ثم إن الجو بارد
ورطب كما ترين .

كفاشنيا : رطب ! اسمع ادعك من هذه الأعذار ! اذهب إلى فراشك .

مدفد يف (وهو يذهب إلى المطبخ) : إلى الفراش : هذا في إمكاني ...
وأنا أريد ذلك ، فقد حان وقت النوم .

ساتن : إنك صارمة معه . لماذا ؟

كفاشنيا . وهل في إمكاني غير ذلك يا صديقي ؟ إن رجلا مثله يجب أن
يسير على الصراط المستقيم . لقد قبلته شريكا لحيااتي معتقدة أي
سأستفيد من ذلك ... وعلى كل حال فهو رجل عسكري ، أما
أنتم فتوحشون ، وأنا لست إلا امرأة ضعيفة .. ومن اللحظة
الاولى يأخذ في شرب الخمر ! أي فائدة لي في هذا ؟

ساتن : إنك لم تحسني اختيار مساعدك .

كفاشنيا . لا إنك مخطيء . أنت مثلا ماكنت لترضى أن تعيش معي ..
ماكنت لتقبلي . وحتى إذا قبلت ، ففي خلال أسبوع واحد تكون
قد ضيعتني في القمار .. ضيعتني وضيعت بضاعتني !

ساتن (ضاحكا) : أنت عمقة في هذا ياسيدة الدار .. فلا شك أنني
كنت سأفعل ذلك .

كفاشنيا : هانت ذا قد اعترفت . أليوشكا !

أليوشكا : ها هو ذا .. إنه أنا .

كفاشنيا : ماهذه الأقاصيص التي تذيعها عني ؟

أليوشكا : أنا ؟ إنني أقص كل شيء ... كما هو ، تنهى الأمانة . أنا
أقول هناك امرأة . امرأة بارزة . وهي من حيث اللحم

والشحم والعظم ، وزن ثقیل جدا ، ولكنها لا تملك أوقية واحدة من العقل !

كفاشنيا : هذا كذب ، فلدى عقل كبير . ولكن لماذا تقول لى أضرب شرطى ؟

أليوشكا : لقد ظننتك تضر بينه حينما كنت تشدين شعره .

كفاشنيا (ضاحكة) : إنك مغفل ! كأنك لم تر . لماذا تنشر الملابس القذرة خارج الدار ؟ ثم إن هذا يجرح كبرياءه . ولقد أخذ يشرب الخمر بسبب أقاصيصك .

أليوشكا : إذن فحقا ما يقولونه ... من أن الفراخ تسكر كذلك .
(يضحك ساتن وكستش)

كفاشنيا : إن لسانك بذيء ! لى لا أستطيع أن أفهم أى نوع من الرجال أنت يا أليوشكا .

أليوشكا : أفخر نوع ! فى إمكانى فعل أى شىء . إذا ما استزعى شىء انتباهى طرت وراءه .

بونهوف (بالقرب من فراش الترى) : هيا قم ، فسبحرك من النوم على أى حال . فسنغنى ... طوال الليل . جويتر !

جويتر : تريد أغنية ؟ حسنا .

أليوشكا : سأعزف معكما .

ساتن : كللى آذان صاغية .

التترى (مبتسما) : حسننا أيها الشيطان بوبنوف والآن أعطني شيئاً
من شرابك - فلنشرب ، ولنمرح ، فالموت آت ، وسنموت .
بوبنوف : املاً كآسَه ياساتن . ! اجلس يا جويتر . آه ، يارفاق ! ما أقل
ما يحتاج إليه الإنسان ! انظروا إلى ... شربت بعض الخمر -
وها أنذا أسعد ما أكون . جويتر : غن أغنيتي المفضلة ...
ساغنى وأبكي !

جويتر (يعنى) : الشمس تشرق ثم تغرب -
بوبنوف (مكملًا) . وزنا اتى مظلة لا تعرف الضوء -
(يفتح باب الردهة على مصراعيه . البارون يصبح وهو
واقف على العتبة)
البارون : هاى ، أنتم هنا ! تعالوا . تعالوا هنا ! هناك فى الخارج
شنق الممثل نفسه !

(صمت شامل .. يحلق الجميع فى البارون مشدوهين
تظهر ناسيتا خلف البارون وتتقدم نحو المائدة فى بطء
شديد وقد اتسعت حدقتا عينيها)
ساتن (فى صوت خفيض) : آه ، لقد أفسد الأغنية .. هذا الممثل !

« ستار »

نادى خيري كليات الآداب

بإدارة الدكتور

يتخذ النادى هدفا من أهدافه وصل القسارىء العربى بنتاج الفكر العالمى ، عن طريق المحاضرة ، وعن طريق النشر تأليفاً وترجمة ، لما كان هذا الاتصال من الدعائم الأصلية اللازمة في بناء حضارتنا المقبلة . ولن يتم مثل هذا الاتصال بيننا وبين ثمار الفكر الإنسانى ما لم نتمثل الأصول نفسها فى لغاتها ، أو منقولة إلى لغاتنا فى أقل تقدير .

وقد رأينا أن نبداً بحملة من عيون المسرح العالمى الحديث ، فقد منّا هذه المسرحية لمكسيم جوركى ، متبعين إياها قريباً بمسرحية للكاتبة النرويجية العظيم هنريك إبسن ، راجين أن تنهى السبل لنشر التراث المسرحى الكامل لجوركى ، وإبسن ، وبرنارد شو .

وأملنا أن يكون فيما ننقله من المسرحيات العالمية أثر فى نهضة المسرح المهنرى ، الذى ينتظر جهوداً قوية متشعبة ، منظمة متتابعة حتى يقف على

قدميه .

سكرتير النادى

الدكتور محمود السمران

روائع المسحح العالمی

تقدّمها

نادى الآداب، الإسكندرية

ظہر منہا :

« الحضيض » لمکسیم جورکی ترجمة فؤاد دواره

يعبر للطبع :

الأشباح، لهزيك إيسن ترجمة حسن السمرات

، نورا ،

«الصاغ باربرا» لبرنارد شو . ترجمة الدكتور محمود السمران

«الطبع» لمکسیم جورکی ترجمہ فؤاد دوارہ

، الطابور الخامس ، لارنسست همنجواى ، ، ،

تصويبات

الخطأ	الصواب	الخطأ	الصواب
٦ ٢٣ « مؤلف »	٨ ١٣ « مؤلف »	٦ ٢٣ « مؤلف »	٨ ١٣ « مؤلف »
١١ ٩ الرابع هو	١١ ٩ الرابع هو	١١ ٩ الرابع هو	١١ ٩ الرابع هو
١٢ ١١ أيضا أنا ،	١٢ ١١ أيضا : « أنا ،	١٢ ١١ أيضا : « أنا ،	١٢ ١١ أيضا : « أنا ،
١٤ ١٢ لرجل ؟	١٤ ١٢ لرجل ؟ ،،	١٤ ١٢ لرجل ؟	١٤ ١٢ لرجل ؟ ،،
١٤ ٢١ بهذا	١٤ ٢١ بهذا	١٤ ٢١ بهذا	١٤ ٢١ بهذا
١٦ ٩ مربي	١٦ ٩ مربي	١٦ ٩ مربي	١٦ ٩ مربي
١٧ ٧ للتنظيف أنا	١٧ ٧ للتنظيف أنا	١٧ ٧ للتنظيف أنا	١٧ ٧ للتنظيف أنا
١٩ ١٠ أخرى	١٩ ١٠ أخرى	١٩ ١٠ أخرى	١٩ ١٠ أخرى
١٩ ١٩ ليس منه	١٩ ١٩ ليس هذا من	١٩ ١٩ ليس منه	١٩ ١٩ ليس هذا من
١٩ ١٩ «أوفيليا»	١٩ ١٩ «أوفيليا» !	١٩ ١٩ «أوفيليا»	١٩ ١٩ «أوفيليا» !
٢٢ ١٥ للزهة	٢٢ ١٥ للزهة ؟	٢٢ ١٥ للزهة	٢٢ ١٥ للزهة ؟
٢٢ ١٦ خارجين	٢٢ ١٦ خارجين ؟	٢٢ ١٦ خارجين	٢٢ ١٦ خارجين ؟
٢٣ ٢ اردت اسألك	٢٣ ٢ اردت أن أسألك	٢٣ ٢ اردت اسألك	٢٣ ٢ اردت أن أسألك
٢٤ ٦ هنا	٢٤ ٦ هنا ؟	٢٤ ٦ هنا	٢٤ ٦ هنا ؟
٢٤ ١٣ عجوز !	٢٤ ١٣ عجوز ؟	٢٤ ١٣ عجوز !	٢٤ ١٣ عجوز ؟
٢٨ ٩ Sandanpalus	٢٨ ٩ Sardanapalus	٢٨ ٩ Sandanpalus	٢٨ ٩ Sardanapalus
٢٩ ٨ الضمير !	٢٩ ٨ الضمير ؟	٢٩ ٨ الضمير !	٢٩ ٨ الضمير ؟
٣ ٦٤ غريبة	٣ ٦٤ غريبة	٣ ٦٤ غريبة	٣ ٦٤ غريبة
٣ ٣٥ حالا . .	٣ ٣٥ حالا ؟	٣ ٣٥ حالا . .	٣ ٣٥ حالا ؟
٣٥ ١٩ من . هذه	٣٥ ١٩ من هذه .	٣٥ ١٩ من . هذه	٣٥ ١٩ من هذه .
٣٧ ١٣ ولكنه	٣٧ ١٣ ولكن	٣٧ ١٣ ولكنه	٣٧ ١٣ ولكن
٤٤ ١٠ الإسكافي	٤٤ ١٠ الإسكاف	٤٤ ١٠ الإسكافي	٤٤ ١٠ الإسكاف
٤٥ ١٨ أنا . .	٤٥ ١٨ أنا ؟	٤٥ ١٨ أنا . .	٤٥ ١٨ أنا ؟
٤٦ ٧ كان	٤٦ ٧ .. فقد كان	٤٦ ٧ كان	٤٦ ٧ .. فقد كان
٤٦ ١٥ تسير	٤٦ ١٥ تسيرى	٤٦ ١٥ تسير	٤٦ ١٥ تسيرى
٤٧ ٣ من بعضهم	٤٧ ٣ بعضهم من بعض	٤٧ ٣ من بعضهم	٤٧ ٣ بعضهم من بعض
٤٧ ١٤ الواجب ؟	٤٧ ١٤ الواجب	٤٧ ١٤ الواجب ؟	٤٧ ١٤ الواجب
٤٨ ٨ تفعلان	٤٨ ٨ تفعلان	٤٨ ٨ تفعلان	٤٨ ٨ تفعلان
٤٨ ١١ والذى	٤٨ ١١ والذى ؟	٤٨ ١١ والذى	٤٨ ١١ والذى ؟

